ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

دُموعُ الرثاء ، وبُكاءُ الحُداء 1

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

دُموعُ الرثاء ، وبُكاءُ الحُداء 1!

(إن بكاء الشاعر ينبغي أن يُصاغ شِعراً!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

أبشرْ بالشهادة

(ذهبتُ وصاحب لي نعود صاحباً لنا مريضاً. وكان ذلك في المستشفى الجامعي بالمنصورة عام 1983م. وأثناء الحديث معه قال لنا: كنت أتمنى الشهادة. فعقبتُ مبشّراً: تُشفى بإذن الله وتلقاه عز وجل شهيداً بعد طول عمر وحسن عمل. فقال: بل الآن يا صاحبي. فقلت مبشراً: والمبطون شهيد. فكن على يقين وأبشر بالشهادة. فوالله هي خير لك من الدنيا وما فيها ومن فيها. فإذا به يموت بعد أيام قليلة من زيارتنا تلك. فرحمه الله رحمة واسعة. من طريق جابر بن عتيك أخرج مالك وأحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم: "الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد والمطعون شهيد والغريق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد ..." إلى آخر الحديث. صححه الألباني. ومن طريق أبي هريرة:- الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله. وهو في الصحيحين وعند مالك وغيرهم. وفي الباب عن عبد الله بن بسر (صحيح) وعن عقبة بن عامر (صحيح) وغيرهم.....فأما المبطون فقيل كما سمعت غير مرة من الأستاذ محمد المنجد: من به استطلاق البطن ، وقيل: المرأة الحامل ، وقيل: من ابتلي في ذات الجنب. العُرف الشذِيّ للكشميري. قال النووي في شرح مسلم:- وأما المبطون فهو صاحب داء البطن وهو الإسهال. قال القاضي وقيل: هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الذي تشتكي بطنه. وقيل: هو الذي يموت بداء بطنه مطلقاً. الاستذكار: ابن عبد البر. وأما المبطون فقيل: المحبوق وقيل صاحب انخراق البطن بالإسهال. وجاء في شرح العباد لسنن أبي داود:- السؤال: هل يدخل من يموت بالسرطان في المبطون؟ الجواب: لا ؛ لأن السرطان لا يكون دائماً في البطن ، فقد يكون في غير البطن. روى البخاري ومسلم. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرِيق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله). وروى أحمد وأبو داود والنسائي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما تعدّون الشهادة؟ قالوا: القتل في سبيل الله تعالى. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجُمْع شهيدة). والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود. قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود: (المطعون) هو الذي يموت بالطاعون. (وصاحب ذات الجنب) وهي قرحة أو قروح تصيب الإنسان داخل جنبه ، ثم تفتح ويسكن الوجع وذلك وقت الهلاك ، ومن علاماتها الوجع تحت الأضلاع وضيق النفس مع ملازمة الحمى والسعال وهي في النساء أكثر. قاله القاري. (والمبطون) من إسهال أو استسقاء أو وجع بطن. (والمرأة تموت بجُمع). قال الخطابي: "معناه أن تموت وفي بطنها ولد".هـ. وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم: "وَأَمَّا (الْمَبْطُون) فَهُوَ صَاحِب دَاء الْبَطْن ، وَهُوَ الإِسْهَال. قَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي بِهِ الاسْتِسْقَاء وَانْتِفَاخ الْبَطْن ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي تَشْتَكِي بَطْنه ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَمُوت بِدَاءِ بَطْنه مُطْلَقًا".هـ. وسئل ابن عثيمين رحمه الله: ورد في الحديث أن المبطون شهيد ، ما معنى كلمة مبطون ، وهل يدخل في معناها من توفي من تليّف في الكبد؟ فأجاب: "المبطون قال فيه أهل العلم: من مات بداء البطن ، والظاهر أن من جنسه من مات بالزائدة لأنها من أدواء البطن التي تميت ، ولعل من ذلك أيضاً من مات بتليف الكبد لأنها داء في البطن مميت". ويحسن بنا أن نورد تفصيلاً حول معنى حديث "الشهداء خمسة" ، ويتولى ذلك التفصيل الدكتور محمد بن

عبد الله القناص عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم ، ونورد هنا السؤال الذي سُئله والجواب:
فأما السؤال: عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فأخره فشكر الله له ، فغفر له ، ثم قال الشهداء خمسة: المطعون والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله.
والجواب: هذه أحاديث أخرجها البخاري بسياق واحد ، قال حدثنا قتيبة عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له! ثم قال: الشهداء خمسة: المطعون ، والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله. قال الحافظ: (وكأن قتيبة حدث به عن مالك هكذا مجموعاً فلم يتصرف فيه المصنف كعادته في الاختصار ، وقد تضمنت هذه الأحاديث ما يأتي: (1) دل الحديث الأول على فضل إماطة الأذى عن الطريق ، وأن قليل العمل إذا أخلص فيه العبد لربه ، يحصل به كثير الأجر والثواب ، وقوله: "فشكر الله له...." الله - سبحانه وتعالى - هو الشكور ، والشاكر على الإطلاق الذي يقبل القليل من العمل ، ويعطي الكثير من الثواب مقابل هذا العمل القليل ومن شكره - تبارك وتعالى - أن غفر لهذا الرجل الذي نحى غصن الشوك عن طريق المسلمين ، وهو عمل قليل. (2) أفاد الحديث الثاني أن الشهداء خمسة وهم: أ- المطعون: هو الذي يموت بالطاعون ، وهو الوباء ، وقد فسره النبي – صلى الله عليه وسلم - في حديث آخر حيث قال: "الطاعون شهادة لكل مسلم" أخرجه البخاري ومسلم عن أنس – رضي الله عنه -. ب- المبطون: هو الذي يموت من علة البطن ، كالاستسقاء ، والحقن وهو: انتفاخ الجوف والإسهال. ج- الغريق: هو الذي يموت بالغرق. د- صاحب الهدم: هو الذي يموت تحت الهدم. هـ - الشهيد في سبيل الله. قال الحافظ: (اختلف في سبب تسمية الشهيد شهيداً ، فقيل لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة ، وقيل: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة ، وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعدَّ له من الكرامة والحصر المذكور في الحديث غير مقصود ، فقد دلت أحاديث أخرى على وصف غير المذكورين بالشهادة) ، قال الحافظ: (والذي يظهر أنه - صلى الله عليه وسلم - أعلم بالأقل ثم أعلم زيادة على ذلك فذكرها في وقت آخر ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك). فتح الباري ، وممن جاء وصف موتهم بالشهادة غير المذكورين في الحديث السابق ما يأتي الحريق ، وصاحب الجنب والمرأة تموت بجمع ، وقد جاء ذلك في حديث جابر بن عتيك – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "ما تعدون الشهادة؟" قالوا: القتل في سبيل الله – تعالى - ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة". أخرجه أبو داود ، وصاحب ذات الجنب: ذات الجنب هي: قرحة في الجنب ، وورم شديد ، وتسمى ذات الجنب الشوصة. وأما المرأة تموت بجُمع: يقال بضم الجيم وكسرها ، وقد تفتح الجيم وسكون الميم فهي المرأة تموت حاملاً ، وقد جمعت ولدها في بطنها ، وقيل: هي التي تموت في نفاسها وبسببه ، وقيل التي تموت عذراء ، والأول: أشهر الأقوال ، ومن مات دون ماله ودينه ودمه وأهله فهو شهيد ، وذلك لما جاء في حديث سعيد بن زيد – رضي الله عنه - قال: "سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: "من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد

، ومن قتل دون أهله فهو شهيد". أخرجه الترمذي ، وقال: هذا حديث حسن صحيح ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد ، وذلك لحديث سُويد بن مقرن – رضي الله عنه - قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "من قتل دون مظلمته فهو شهيد". أخرجه النسائي ، قوله: دون مَظلمته ، أي قصده قاصد بالظلم ، وموت الغربة شهادة ، وذلك لحديث ابن عباس – رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "موت غربة شهادة". أخرجه ابن ماجه. وقد ذكر الحافظ أنه من خلال نظره في الأحاديث تحصل له إطلاق الشهادة على عشرين خصلة ، قال ابن التين: (هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء ، ووصف هؤلاء بالشهداء بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء ، ولا تجري عليهم أحكام الشهداء في الدنيا).هـ. فأنشدتُ - لصاحبي الفقيد بحضرة صديقي أحمد عبد الحكم أبو وداعة ذلك الصعيدي الذي يسكن شربين - على البحر المجتث!)

وفاتـــــــك اليـــــــوم فجعـــــــة ... وللشـــــــــــــهادة مُتعـــــــــــــة

فهـــــــل أعزيـــــــك شِـــــــعراً ... يَفـــــــيضُ حُزنـــــــاً ولوعـــــــة؟

عســـــــاكَ حققـــــــتَ قصـــــــداً ... بعـــــــد اللقـــــــاء بجُمعـــــــة

يـــــا مـــــن نظـــــرتُ إليـــــه ... والعـــــينُ ترســـــلُ دمعـــــة

فكفكفتْهـــــــــا يمينِـــــــــي ... بكـــــــل رفـــــــق بســـــــرعة

والقلـــــــبُ أطـــــــرَقَ يرجـــــــو ... فـــــــراقَ أتعـــــــس ضـــــــجعة

وكـــــــم دعـــــــوتُ إلهـــــــي ... ألِـــــــحّ فـــــــي كـــــــل ركعـــــــة!

حتـــــــــى أراكَ مُعـــــــــافىً ... مُحققـــــــاً كـــــــل رفعـــــــة

وفجـــــــأة مـــــــات خِلّـــــــي ... لـــــــذا أصِـــــــبتُ بفجعـــــــة

وتلـــــــك سُـــــــنة ربـــــــي ... فـــــــي كـــــــل جيـــــــل وبُقعـــــــة

وللمنيّـــــــــــة كـــــــــــأسٌ ... كـــــــلٌ لـــــــه - منـــــــه - جُرعـــــــة

عســـــــاك مُـــــــتّ شَـــــــهيداً ... وطِبـــــــتّ ذِكـــــــراً وسُـــــــمعة

احتسبتك عند الله يا أبي

(كثيراً ما دعا الأبُ ابنه إلى الحق والخير. وظل الابنُ على عناده ولجاجه إلى أن أخذتِ الأبَ غيبوبة مات فيها. ولم يعد هناك من يأمر أو ينهى أو ينكر أو ينتقد أو يلوم أو يؤاخذ أو يدعو. فقال الابن وقد عاد إلى صوابه وأفاء إلى رشده وانتبه من غفلته: احتسبتك عند الله يا أبي. فكتبتُ موصياً كل فتىً بأبيه. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في بيان ما ينبغي للوالدين من حقوق أكثر من أن تعد وتحصى كثرة! ويكفي أن الأب وإن كان كافراً مُشركاً لا يدين دين الحق فقد كفى ابنه مؤنة جواب السؤال: (مَن أبوك؟) وإذن فالأب وهو كافرٌ نعمة لابنه! فما بالنا إن كان مؤمنا؟! قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم: (رضا الرَّبِّ في رضا الوالدِ ، وسخطُ الرَّبِّ في سخطِ الوالدِ). وقال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: (رغِم أنفُ رجُلٍ ذُكِرْتُ عندَه فلَمْ يُصَلِّ علَيَّ ، ورغِم أنفُ رجُلٍ أدرَك أبوَيْهِ عندَ الكِبَرِ فلَمْ يُدخِلاه الجنَّةَ ، ورغِم أنفُ رجُلٍ دخَل عليه شهرُ رمضانَ ثمَّ انسلَخ قبْلَ أنْ يُغفَرَ له). وجاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: (يا رسولَ اللهِ ، ما الكبائرُ؟ قال الإشراكُ باللهِ ، قال: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ عقوقُ الوالدَينِ ، قال: ثمّ ماذا؟ قال: اليمينُ الغموسُ ، قلتُ: وما اليمينُ الغموسُ؟ قال: الذي يقتطعُ مالَ امرئٍ مسلمٍ ، هو فيها كاذبٌ). عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ثلاثُ دعَواتٍ مُستَجاباتٌ لا شَكَّ فيهِنَّ دَعوةُ الوالِدِ ، ودَعوَةُ المسافِرِ ، ودعوَةُ المَظلومِ). وفي جريدة (المدينة) الصادرة يوم الجمعة 13 / 08 / 2010 ، كان استطلاع يبين مدى ما وصل إليه أغلب أبناء هذا الزمان من العقوق وتحت عنوان (تمرد الأبناء على الآباء عقوق بدايته تأفف ونهايته الندم) ومن استطلاع الأستاذ إبراهيم الرحيمي ، نقتطف منه بعض الورود : (لقد فطر الإنسان على احترام والديه وتقديرهما والعناية بهما ، وجاء القرآن الكريم الذي عني بإتمام مكارم الأخلاق ليركِّز على هذه القيم فأمر المسلم بتقدير والديه وطاعتهما ، حتى لو كانا غير مسلمين ، ونهى عن عقوق الوالدين وأمر ببرهما ووصلهما. لكن المشاهد للواقع المحلي ينفطر قلبه جراء ما يشاهده بعينيه من تفشي مظاهر العقوق في المجتمع بصورة ملحوظة ، فما هي أسباب هذه الظاهرة؟ وما هي أسباب العلاج؟ الرسالة وضعت هذه الأسئلة على طاولة بعض المهتمين فأفادوا بالتالي: * الدلال الزائد:- بداية يوضح المستشار الأسري الشيخ غازي الشمري أن تمرد الأبناء على الآباء ظاهرة موجودة في مجتمعاتنا منذ القدم ، وقال: هناك كلمة جميلة للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز قال فيها: (الهداية من الله والتربية من الآباء)! ونحن الآن في زمان فتن! زمان قلّ فيه الاحترام والتقدير ، وعندما أوصى الله الأبناء بالآباء خيراً ، فإن ذلك كان لعلمه أنهم قد يتجاهلون آباءهم. أما الآباء فإن فطرة الرحمة موجودة في قلوبهم. وأضاف الشمري قائلاً: من واقع عملي كمستشار في التكافل الأسري في المنطقة الشرقية ، فقد جاء بعض الآباء يشتكون من أبنائهم ، فأحدهم يقول إن ابنه كسر له قدمه ، وضربه ضرباً مبرّحاً ، لأنه لم ينفذ له بعض رغباته! وبالتالي أرى أن أسباب هذا التمرد تعود إلى التدليل الزائد من الآباء للأبناء ، كما أن هناك نقطة مهمة جداً وحساسة في هذه القضية وهي عدم توفير الصداقة الصالحة للأبناء ، إضافة إلى إهمال الأبناء وعدم أخذهم إلى مجالس الكبار ، ولو جلس هؤلاء الشباب مع الكبار لاستفادوا فائدة عظيمة ، وتعلموا منهم لان (المجالس مدارس) كما يقولون. وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: كان والدي يأخذني إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فيه أبو بكر وعثمان وعلي وكبار الصحابة. ويواصل الشمري بالقول: أفرد الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه باباً في أخذ الصغار إلى مجالس

الكبار! وهنالك أمر آخر وهو إعطاء الأبناء الثقة والاحترام والتقدير والحب والحنان! هذه الأسباب بإذن الله عز وجل مع الدعاء لهم كفيلة بأن تساهم في صلاحهم ، ولا بد لي من التذكير بقوله صلى الله عليه وسلم: "برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم". فإذا رأى الأبناء أن الأب يبر أباه بالكلمة والاحترام والتقدير ، وبالدعاء والصدقة إن كان ميتاً ، فإن هذا ينعكس في نفوسهم فيتأثرون به).هـ. * ومن صور العقوق:- من جانب آخر يصف الدكتور يوسف الأحمد تمرد الأبناء على الآباء بأنه عقوق قائلاً: (لا شك أن عقوق الوالدين من أعظم الذنوب عند الله ، وكثير من الناس يظنون أن عقوق الوالدين هو الضرب والصراخ عليهما ورميهما في ملجأ أو في دار العجزة ، ونحو ذلك من الصور التي تذكر في بعض وسائل الإعلام وتذكر في القصص ، وهذا التصور وإن كان صحيحاً في جزئية منه ، إلا أن صور العقوق كثيرة ومتعددة ، فمجرد أن يقول الابن لوالده أف أو يُبدي تضجره ، فهذا من أنواع العقوق التي نهى عنها الله تعالى بقوله: "فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما"! و(أف) هي أقل درجات الانزعاج وإظهار الضجر ، فقد يأمر الأب ابنه بشيء فيغير الابن نبرة كلامه ويظهر انزعاجه مما أمره به والده أو والدته فتكون (أف) أو نحوها من تغيير نبرة الصوت أو رفعه أو عبوس الوجه الذي يدل على عدم رضاء الابن برأي أبيه وغيره من الطرق التي مآلها إلى هذا المعنى الذي ذكره الله جل وعلا في كتابه العزيز واعتبره من المحرمات ، وهو من صور العقوق والعياذ بالله).هـ. وأوضح الدكتور الأحمد أن الشرع يأمر بإظهار البر والإحسان للوالدين ، وقال: (العقوق من أكبر الكبائر في الإسلام واعتبره الشرع من السبع الموبقات ، وثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله علية وسلم قال: (لا يدخل الجنة قاطع) وأعلى درجات قطيعة الرحم هي قطيعة الوالدين لأن البعض قد يهجر والديه أو تكون العلاقة بينهما فيها نوع من الهجر بين الأب وابنه. قال تعالى: "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا").هـ. واختتم الأحمد بالقول: (دعاء الآباء للأبناء من أهم أسباب صلاحهم وقد أمرنا الشرع في مثل هذه الحالات بالالتجاء إلى الله في إصلاح الأبناء لأن الإنسان قد يتعب في تربية ابنه ويبذل جهد ورغم ذلك يكون مصيره الفشل والانحراف ، قال تعالى: "والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما").هـ. * العادات الوافدة:- من جانبه يقول الأستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية الدكتور حسين بن هادي العواجي: (المتأمل في أحوال الأبناء مع آبائهم في وقتنا الحاضر يري عجباً وأصبح عقوق الأبناء للوالدين ظاهرة منتشرة بشكل كبير خاصة في مرحلة المراهقة حيث غاب في كثير من منازلنا احترام الأبناء للآباء وعدم إعارة اهتمام لغضبهما أو رضاهما ومع تدفق الثقافات والعادات الوافدة ازدادت معاناة الآباء من ظاهرة التمرد التي تعني الرفض والعصيان وعدم الالتزام بأوامر الآباء. فمن الأبناء من يسيء الأدب مع والديه إما بالتصرف الخاطئ أو النظرة الحادة أو العقوق الظاهر والبعض يهجر والديه بالكلام والبعد عنهم ، وهناك أبناء يصرخون في وجوه آبائهم ، وهناك من يضرب والديه ، بل وصل الأمر إلى أقصى درجات العقوق وذلك بأن يقتل الابن أباه أو أمه).هـ. * أسباب وعلاج:- وأوضح العواجي أسباب عقوق الأبناء في عدة عوامل بقوله: (هناك أسباب كثيرة منها أسلوب التربية الخاطئ منذ الطفولة ، والشدة المتناهية على الأبناء أو الدلال الزائد ، وممارسة بعض الآباء للدكتاتورية والتسلط في التعامل مع الأبناء ومصادرة آرائهم وإرادتهم والتشديد عليهم. ومنها كذلك غياب الحوار الأسري بين الآباء والأبناء. وكذلك ثقة بعض الآباء العمياء من الآباء لأبنائهم وعدم مراقبتهم ومتابعتهم ، وعدم التركيز على معرفة أصدقاء الأبناء ورفقائهم الذين يكون لهم دور كبير جداً في تشكيل فكر الأبناء مما ينعكس سلباً على أخلاقهم

وتصرفاتهم. وكذلك كثرة نشوب المشاكل الأسرية بين الزوجين أمام الأبناء وانتشار ظاهرة العنف لدى بعض الأسر ضد أبنائها والتفكك الأسري بسبب الطلاق وغياب الأب عن المنزل لفترات طويلة أو انشغاله بالأسفار. ولا ننسى أخيراً أثر المسلسلات الأجنبية والفضائيات التي لها دور كبير في انتشار ظاهرة العقوق وزرع بذور التمرد في الأبناء. والتربية السليمة للطفل تبدأ باختيار الزوجة الصالحة التي تربي أبناءها على الأخلاق الفاضلة. ووجود قدوة حسنة في محيط الطفل الأسري يتبادل معه الآراء. وأن تكون العلاقة بين الأبناء والآباء مبنية على الصراحة والوضوح منذ الصغر وإعطاء الأبناء فرصة للاعتماد على أنفسهم).هـ. والحقيقة أنني انفعلتُ بالاستطلاع والموقف فكتبتُ قصيدتي هذي على البحر العروضي المضارع لتأخذ الوصية النافعة صفة الديمومة والمضارعة!)

اذكـــــــرْ مقـــــــامَ أبيكـــــــا ... يـــــــا صـــــــاح ، وادعُ المليكـــــــا

مـــــا المَـــــرءُ مِـــــن دون أهـــــل؟ ... فـــــــاذكرْ بخيـــــــر ذويكـــــــا

والـــــــزمْ ، ونفـــــــذ وصـــــــايا ... أبيـــــــك ، لا فـــــــض فوكـــــــا!

لـــــــمْ يـــــــدّخرْ أي جهـــــــدٍ ... إلا وأفنـــــــــــــاهُ فيكـــــــــــــا

وســـــــوف تُـــــــدركُ هـــــــذا ... بدقـــــــــــةٍ فـــــــــي بنيكـــــــــا

أبـــــــوك عـــــــانى كثيـــــــراً ... إذ عـــــــاب – فيـــــــكَ - الســـــــلوكا

وعشـــــــت تـــــــؤثرُ بُعـــــــداً ... وتستســـــــــــــيغ الشـــــــــــكوكا

وتســـــــــــتطيبُ الخطايـــــــــا ... وتســـــــــــتلذ الهلوكـــــــــــا

وللتـــــــــــدني رفـــــــــاقٌ ... وهـــــــــــاجسٌ يحتويكـــــــــــا

وللتـــــــــــردّي حَضـــــــــيضٌ ... ومَوئـــــــــــلٌ يجتبيكـــــــــــا

حتـــــى انتهـــــى كـــــل شـــــيءٍ ... غـــــــال بمـــــــوت أبيكـــــــا

فرُحـــــــت تبكـــــــي عليـــــــهِ ... دمـــــــاً غزيـــــــراً سَـــــــفِيكا

تقـــــــول: إنـــــــي احتســـــــبتُ ... أبـــــــاً حَكيمـــــــاً حنيكـــــــا

احتسبتُكَ عند اللهِ يا خالد!

(علمتُ بوفاة أحد أحبابي في الله ورسوله والإسلام ، فذهبتُ فرداً لأشيّعه ، فأدركتُ التغسيل والتكفين في داره. ولمّا خرجتِ الجنازة من الدار متجهة إلى المسجد للصلاة عليها سمعتُ زوجته تقول: (احتسبتك عند الله يا خالد). فتحركتْ في نفسي قشعريرة الشعر ، وأنشدتُ هذي القصيدة التي جعلتُ كلمات هذه الزوجة الفاضلة المؤمنة عنواناً لها. تلك المرأة التي ما لطمت خداً ولا شقت جيباً ولا دعت بدعوى الجاهلية. ولمّا وجدتُ ثباتها ومَضاءها وصبرها واختلاط دموع احتسابها بدعائها الفذ العذب الجميل ، هزني هذا كله مقارنة بما كنتُ أجد من بعض النسوة في مثل هذي المواقف من اللطم والصياح والعويل ودعوى الجاهلية واليأس والقنوط. ولقد روى مسلم من حديث أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطِران ودرعٌ من جرب). وروى مسلم كذلك من حديث أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً ، فإن ملائكته يؤمنون على تقولون). فلما مات أبو سلمة قالت: اغفر له وأعقبني عُقبى صالحة. قالت: فأعقبني الله تعالى رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم ـ). يقول الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}. والأحاديث ـ عن فضل من مات صفيه واحتسب ـ كثيرة ومتعددة ، نذكر منها على سبيل المثال: – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة ، فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا ، فيأتون ، فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم محبنطئين ، ادخلوا الجنة ، فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا ، فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم». [حديث حسن]. – وعن أبي أمامة – رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «يقول الله سبحانه: ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى ، لم أرض ثوبًا دون الجنة». [حديث حسن]. – وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة». [حديث صحيح]. – وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي! فيقولون: نعم ، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده! فيقولون: نعم ، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة ، وسمّوه بيت الحمد». [حسنه الألباني]. ألا إن الصبر عند الصدمة الأولى كما أثِر عن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ. ألا جزا الله خيراً هذه الأخت الصالحة التي احتسبتْ زوجها عند الله ، والتزمتْ أدب الإسلام وخلقه! ولنتابع قراءة هذه القصيدة من المتقارب وعلى القافية الذالية النادرة. ولكن حُباً وكرامة في هذا الميت الحي الحبيب الأستاذ الذي حببني في الكتاب صغيراً ، حيث كان يعمل أميناً لمكتبة المدرسة: (خالد الحدّاد) الذي كم كانت علاقته بي حميمة وأصيلة إذ هي في الله. ولا أزكيه على الله ، والله حسيبه.)

حُروفـــكِ قـــد فـــاح منهـــا الشـــذى بـــــــرغم المُصـــــــاب ومُـــــــرّ الأذى

ورغـــــم توشّـــــحِها بـــــالجوى تُشـــــيّع مُلتاعـــــة جَهبـــــذا

يُصـــــارعُها الـــــدمعُ مستبســـــلاً ... ويُرســـــلُ - للعـــــين - أعتـــــى القـــــذى

فحـــــرفٌ يُكابـــــدُ وخـــــذ البُكـــــا ... وحـــــرفٌ تصَـــــلى بـــــوهج الجُـــــذا

وصـــــاحبةَ الـــــدمع لـــــم تنهـــــزمْ ... وكـــــان لهـــــا دينهـــــا منقـــــذا

ولـــــم يســـــكن اليـــــأسُ فـــــي قلبهـــــا ... وأمســـــى الثبـــــاتُ لـــــه منفـــــذا

لأن التصـــــبر قـــــد زانهـــــا! ... وخاطرُهـــــا بـــــاليقين اغتـــــذى

فمـــــا لطمـــــتْ - فـــــي الـــــبلا - وجههـــــا ... ومنهـــــا اللســـــانُ وعـــــى مـــــا هـــــذى

ومـــــا شـــــقتِ الجيـــــبَ فـــــي كربهـــــا! ... مثـــــالاً غـــــدتْ فـــــي النســـــا يُحتـــــذى

وعاشـــــــــت وَدوداً لمحبوبهـــــــــا ... وإذ مـــــــات لمّـــــا تكـــــنْ مِلـــــوذا

وكانـــــت قـــــد احتســـــبتْ زوجهـــــا ... بلفـــــظٍ تضـــــوّع منـــــه الشـــــذى

ولمّـــــا تـــــنُحْ قَـــــط أو تنتحـــــبْ ... ولمّـــــا تقُـــــلْ كـــــان زوجـــــي كـــــذا

فبُوركـــــتِ مـــــن قـــــدوةٍ للـــــورى ... فيـــــا ليـــــتهم - فـــــي الـــــبلا - هكـــــذا

إذا مـــــا ابتُلـــــوا قـــــاوموا حـــــزنهم ... وكـــــان التصـــــبر نعـــــم الغِـــــذا!

وكـــــان الـــــدعاءُ لهـــــم مَـــــوئلاً ... ويـــــا حبـــــذا الصـــــبر ، يـــــا حبـــــذا!

فلـــــيس يـــــردُ القنـــــوطَ القضـــــا ... و(لـــــوْ) تُـــــورث الهـــــم مثـــــل (إذا)!

و(لـــــولا) تُعـــــذب أصـــــحابَها ... يقولـــــون: مـــــا مـــــات لـــــولا كـــــذا!

فيـــــا رب رفقـــــاً بمكلومـــــةٍ ... بـــــك اليـــــومَ ذي أصـــــبحت مُعْـــــوذا

حنانيـــــك خفـــــفْ مُعاناتهـــــا ... وســـــامحْ إذا مـــــا أتـــــت مأخـــــذا

احتسبتُكِ عند الله يا رُقيّة

(بين المقابر نظر ذلك الأب المبتلى إلى قبر ابنته التي ماتت رضيعة. وميز القبر بدون صعوبة رغم تشابهه بسواه. ثم رأيتُ عينيه تهمِلان ، وبعد قليل اخضلتْ لحيته بالدموع ، وسمعتُه يقول: احتسبتك عند الله يا رقية. وأخذ يذكر لي مدى تعلقه بها! فأنشدتُ بعدها هذه القصيدة متخذاً من كلماته عنواناً أراه مناسباً لها! ولم يكن يصلحُ أن أعزيَه بعد الثلاث! وإن كانت كلمات التعزية لتشيع في نفس المعزي روح الاطمئنان بلقاء الله تعالى ، والإحساس بأن الكل ميت والشعور بأنها إرادة الله تعالى! – إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار ولأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب – وليس كما يقول أهل الجاهلية: - حياتك الباقية! – مات الميت وأعطاك عمره! – كلنا لها – البقية في حياتك – ربنا افتكر فلاناً أي الميت ، فأماته!)

بُنيتـــي ، هـــذه الـــدموعُ تـــأبينُ ... فـــإن حُبـــكِ - فـــي الفـــؤاد - مكنـــونُ

مـــا فارقـــتْ أبـــداً ذكـــراكِ ذاكرتـــي ... وطيـــفُ ذكـــراكِ بالتـــذكير مقـــرون

مازلـــتُ أذكـــرُ وجهـــا باســـماً غـــرِداً! ... عـــذبُ المُحَيّـــا ، جميـــلُ الســـمت ميمـــون

مازلـــت أذكـــرُ ثغـــراً ضـــاحكاً طربـــاً ... رِضـــابُه - بشـــذى الريحـــان - معجـــون

مازلـــت أذكـــرُ جســـماً نـــاحلاً عبقـــاً ... تغـــارُ - مِـــن حُســـنه الجـــمّ - الفســـاتين

مازلـــت أذكـــرُ كفـــاً مِـــن تناســـقها ... تســـبي العيـــونَ مِـــن الكـــف الشـــرايين

مازلـــت أذكـــرُ مـــن عينيـــكِ سِـــحرَهما ... وعنـــد غيـــري مـــن الأهـــل البـــراهين

إنـــي احتســـبتكِ عنـــد الله آنســـتي ... إذ الاحتســـابُ - ومَـــن ســـوّاكِ - مَســـنون

وللمهـــيمن مـــا أعطـــى خلائقـــه ... والقلـــبُ إن يأخـــذِ المـــولى فمنـــون

وكـــل شـــيء بمقـــدار ومَوْعِـــدةٍ ... عنـــد المليـــك ، وتكفـــي الكـــافُ والنـــون

فيـــكِ امتحنـــتُ وكانـــت محنتـــي جَلـــلاً ... والقلـــبُ مـــن عِظـــم الـــبلاء محـــزون

لـــو أن عينيـــك يـــا بنتـــاه أبصـــرتا ... حـــالي ، وأنـــي هنـــا - بالوجـــدِ - مَرهـــون

لأرســـلت كـــل عـــين دمـــعَ مَـــن فقـــدتْ ... أغلـــى عزيـــز لـــه الـــدموعُ عُربـــون

ليـــرحمِ اللهُ مَـــن بـــأمره رحلـــتْ ... ومَـــن دمـــوعي لهـــا ذكـــرى وتـــأبين!

إكرام الراحلة

(في رثاء أختي من أبي: إكرام بنت علي سليمان عبد الرحيم)

(عند زيارتي لإكرام بنت علي سليمان عبد الرحيم (أختي من أبي) – رحمها الله – لمستُ عندها أصالة الصعيد وأخلاقه. فازداد حبي لها. ومن أجلها أنشدت هذا القصيد. والحب بين الأشقاء فطرة طبيعية ، وإنما يحب كل شقيق من أشقائة وشقيقاته الأقرب منهم إلى الحنيفية التي يدين لله بها ، ولقد كانت إكرام من أحب إخوتي حقيقة إلى قلبي – على أنها كانت أختي من أبي ، وذلك لذات السبب الذي ذكرت. وذات يوم فارقت الحياة الدنيا إلى الرفيق الأعلى ، وكان ذلك صعباً علي ، ورحتُ أسطر هذي الأبيات في رثائها وتأبينها ، وكم كنت أتمنى لو شيعتها بنفسي! ولكنها إرادة الله تعالى. عَنِ الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إلى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ ، فَجَلَسَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ وكأن على رؤوسنا الطَّيْرَ ، وفي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ في الأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فقال: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ من عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أو ثَلاَثاً ، ثُمَّ قال: إن الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إذا كان في انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إليه مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ من أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ من حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حتى يَجْلِسُوا منه مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يجئ مَلَكُ الْمَوْتِ عليه السَّلاَمُ حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فيقول: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، اخرجي إلى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ، قال: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كما تَسِيلُ الْقَطْرَةُ (أي قطرة الماء) من في السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فإذا أَخَذَهَا لم يَدَعُوهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتى يَأْخُذُوهَا ، فَيَجْعَلُوهَا في ذلك الْكَفَنِ وفي ذلك الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ منها كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ الأَرْضِ ، قال: فَيَصْعَدُونَ بها ، فَلاَ يَمُرُّونَ - يَعْنِي بها على مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ - إلا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ بن فُلاَنٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ التي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بها في الدُّنْيَا ، حتى يَنْتَهُوا بها إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ له فَيُفْتَحُ لهم ، فَيُشَيِّعُهُ من كل سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إلى السَّمَاءِ التي تَلِيهَا ، حتى يُنْتَهَى بِهِ إلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فيقول الله عز وجل: اكْتُبُوا كِتَابَ عبدي في عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إلى الأَرْضِ ؛ فإني منها خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، قال: فَتُعَادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنَ له: من رَبُّكَ؟ فيقول: ربي الله ، فَيَقُولاَنِ له ما دِينُكَ؟ فيقول: ديني الإِسْلاَمُ ، فَيَقُولاَنِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقول: هو رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ، فَيَقُولاَنِ له: وما عِلْمُكَ؟ فيقول: قرأت كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ في السَّمَاءِ: أن صَدَقَ عبدي ، فأفرشوه مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا له بَاباً إلى الْجَنَّةِ ، قال: فَيَأْتِيهِ من رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ له في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ! قال: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فيقول: أَبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ ، هذا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ ، فيقول له: من أنت؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يجئ بِالْخَيْرِ ، فيقول: أنا عَمَلُكَ الصَّالِحُ! فيقول: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حتى أَرْجِعَ إلى أهلي ومالي! قال: وان الْعَبْدَ الْكَافِرَ إذا كان في انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إليه مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ منه مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يجئ مَلَكُ الْمَوْتِ حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فيقول: يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ، اخرجي إلى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ ، قال: فَتُفَرَّقُ في جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كما يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ! (وفي رواية لأحمد: فَيَنْتَزِعُهَا تَتَقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ) فَيَأْخُذُهَا ، فإذا أَخَذَهَا لم يَدَعُوهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، حتى يَجْعَلُوهَا في تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ منها كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ الأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بها فَلاَ يَمُرُّونَ بها على مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إلا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ بن فُلاَنٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ التي كان يُسَمَّى بها في الدُّنْيَا ، حتى يُنْتَهَى بِهِ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ له فَلاَ يُفْتَحُ له ، ثُمَّ قَرَأَ رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}. فيقول الله عز وجل: اكْتُبُوا كِتَابَهُ في سِجِّينٍ في الأَرْضِ السُّفْلَى ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}. فَتُعَادُ

رُوحُهُ في جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ له: من رَبُّكَ؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِى ، فَيَقُولاَنِ له: ما دِينُكَ؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيَقُولاَنِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي ، فَيُنَادِى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أن كَذَبَ فَافْرِشُوا له مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا له بَاباً إلى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ من حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ ، حتى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاَعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فيقول: أَبْشِرْ بالذي يَسُووءُكَ ، هذا يَوْمُكَ الذي كُنْتَ تُوعَدُ ، فيقول: من أنت؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يجئ بِالشَّرِّ ، فيقول: أنا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، فيقول: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ». رواه أحمد وأهل السنن إلا الترمذي! وفي رواية للطيالسي: «فيقول: أنا عملك الخبيث ، والله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً إلى معصية الله». وفي رواية لأبي داود: «قال: ثُمَّ يُقَيَّضُ له أَعْمَى أَبْكَمُ معه مِرْزَبَّةٌ من حَدِيدٍ ، لو ضُرِبَ بها جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا ، قال: فَيَضْرِبُهُ بها ضربة ، يَسْمَعُهَا ما بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إلا الثَّقَلَيْنِ ، فَيَصِيرُ تُرَابًا قال: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ». وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عند الترمذي قال في المؤمن: «... ثُمَّ يُفْسَحُ له في قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا في سَبْعِينَ ، ثُمَّ يُنَوَّرُ له فيه ، ثُمَّ يُقَالُ له: نَمْ ، فيقول: أَرْجِعُ إلى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ ، فَيَقُولاَنِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الذي لَا يُوقِظُهُ إلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إليه ، حتى يَبْعَثَهُ الله من مَضْجَعِهِ ذلك. وَإِنْ كان مُنَافِقًا...يُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عليه ، فَتَلْتَئِمُ عليه ، فَتَخْتَلِفُ فيها أَضْلَاعُهُ ، فلا يَزَالُ فيها مُعَذَّبًا ، حتى يَبْعَثَهُ الله من مَضْجَعِهِ ذلك». وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكثروا ذكر هادم اللذات - يعني الموت - فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه الله ، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه). وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذهب ثلثا الليل ، قام فقال: يا أيها الناس ، اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة * تتبعها الرادفة * جاء الموت بما فيه * جاء الموت بما فيه". وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: كنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءه رجل من الأنصار ، فسلم على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: يا رسول الله ، أي المؤمنين أفضل؟ ، قال: "أحسنهم خلقاً" قال: فأي المؤمنين أكيس؟ ، قال: أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم لما بعده استعداداً ، أولئك الأكياس". وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ("لقد أعذر الله إلى عبد أحياه) (حتى بلغه ستين سنة) (لقد أعذر الله إليه) (أي في العمر). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك". وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "معترك المنايا بين الستين إلى السبعين". وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ("أقل أمتي أبناء السبعين") ، وفي رواية: "أقل أمتي الذين يبلغون السبعين" ، وعن أبي قتادة - رضي الله عنه - قال: (كنا جلوساً عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ طلعت جنازة) (فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مستريحٌ ، أو مستراحٌ منه" ، فقالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ ، فقال: (العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله! والعبد الفاجر يستريح منه العبادُ والبلاد! والشجر والدواب). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قال الله تعالى للنفس: اخرجي ، قالت: لا أخرج إلا كارهة) (قال: اخرجي وإن كرهت). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قال الله تعالى: ما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن) (قبْض) (نفس) (عبدي) (المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) (ولا بد له منه). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (إن من نعم الله علي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توفي في بيتي ، وفي يومي وبين سحري ونحري (وكان بين يديه ركوة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: "لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات"). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يموت ، وعنده قدحٌ فيه ماء ، فيدخل يده في القدح ، ويمسح وجهه بالماء ، ثم يقول: اللهم أعني على سكرات الموت". وعن عائشة - رضي الله عنها -

قالت: (ما رأيت أحداً أشد عليه الوجعُ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (وما أغبط أحداً بهون موت (ولا أكره شدة الموت لأحد أبداً) (بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "تحدثوا عن بني إسرائيل ، فإنه كانت فيهم الأعاجيب ، ثم أنشأ يحدث ، قال: خرجت طائفة منهم ، فأتوا مقبرة من مقابرهم ، فقالوا: لو صلينا ركعتين ، ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات ، يخبرنا عن الموت ، قال: ففعلوا ، فبينما هم كذلك ، إذ أطلع رجل رأسه من قبر خلاسي بين عينيه أثر السجود ، فقال: يا هؤلاء ، ما أردتم إلي؟ ، فوالله لقد مت منذ مائة سنة ، فما سكنت عني حرارة الموت حتى كان الآن ، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت"..... قال الله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) ، وقال: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) ، وقال: وقال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) ، وقال: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) ، وهذه الآية هي التي تلاها الصديق أبو بكر – رضي الله عنه - يوم وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما سمعها الناس كأنهم لم يسمعوها قبل.....وقال تعالى: (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً). ومن هذا المنطلق رحت أبكي أختي (إكرام) معنوناً قصيدتي بـ (إكرام الراحلة) لأشير إلى أنها وإن رحلتْ عن العين ، فليست ترحل عن الفؤاد! ولست الذي يُفضل الغربة والبُعد عن الأهل ، ولكنها والله العظيم ظروفٌ قاهرة خارجة عن الطوع والإرادة والمقدرة. وكانت الغربة حائلاً بيني وبين أقارب لم أودعهم ، ربما كانت إكرام الأولى في سلسلة الراحلين والراحلات. وأسأل الله الرحمة والمغفرة للجميع. كما وأسأله سبحانه أن يتجاوز عن تقصيري في حقهم. إنه عز وجل العليم بما في النفوس والقلوب. وأعرف أن غربة كهذي يمكن أن يفسرها الجهلاء السفهاء من غير الراسخين في معرفتي على أنها ضيق بهم وشُحٌ بالمال عن زيارتهم! ويشهد الله أن شيئاً من ذلك لا يوجد. ولكنه قدر الله الغالب ، ولا شك أن الله صنع بي ذلك لحكمة لا يعلمها إلا هو. وإذن فكل من عرفني ، علم بكل يقين أنني أحب الوصل والواصلين ، ولكن عندما لا أستطيع إلى ذلك سبيلاً ، فإنه يجب التماس العذر ريثما تُعْلم الأسباب والمبررات!)

ذكرياتُ الأمس مرتْ تجري ... ولهيبُ الحزن مثلُ الجمرِ

خبرٌ هزّ الدموع الحرّى ... ومساءٌ طال مثل الدهر

وفؤادي - في الدياجي - عانى ... وجَوى الروح كموج البحر

والأماني - اليوم - باتت تشكو ... لوعة الأحزان رغم الصبر

وعذاب الكرب أدمى روحي ... واحتواني - في بلائي - قهري

آه ، والأيامُ حولي ثكلى ... وانفعال النفس يشوي شِعري

رفرفتْ حولي طيوف لهفي ... حيّرَ الأطيافَ هذي أمري

قدري أني كسيرٌ ، دوماً ... في هجير الروْع أقضي عمري

والمنايا شاهراتٌ سيفاً ... ولها حلمٌ ينـاغي قبري

ظلمـــــة ســـــادت ، وحلـــــتْ فـــــوقي فمتـــــي ينشـــــق عنهـــــا فجـــــري؟

ومتـــــى ينـــــزاحُ عنهـــــا قيـــــدي؟ ومتـــــى ينفـــــك غـــــل الأســـــر؟

بـــــين غـــــل وانكســـــار أحيـــــا دون ذنـــــــــب عـــــــــاقني أو وزر

ومِـــــدادُ الشـــــعر مـــــلّ الشـــــكوى ثـــــم ناجـــــاني: ومـــــاذا عـــــذري؟

ونســـــيم الشـــــوق مـــــل النجـــــوى غـــــاب عنـــــي اليـــــوم نـــــور البـــــدر

أخـــــتُ عفـــــواً ، إننـــــي مُلتـــــاع ثـــــم إن الحـــــزن أدمـــــى صـــــدري

كلمـــــا جـــــاءتْ طيـــــوفٌ تســـــعى وعليهـــــا الزهـــــرُ فـــــوق العِطـــــر

أذكـــــر الأخـــــلاق ، يـــــا أختـــــاهُ! وعليـــــكِ الســـــترُ فـــــوق الســـــتر

تلـــــك إكـــــرام التـــــي مـــــا غابـــــت عـــــن أحاسيســـــي ، ولا عـــــن فكـــــري

أخـــــتُ آذانـــــي فـــــراقٌ يكـــــوي والـــــدموعُ – اليـــــوم - مثـــــل النهـــــر

فـــــي صـــــلاتي ، فـــــي قيـــــامي أدعـــــو بـــــل وفـــــي سِـــــري الـــــدعا ، والجهـــــر

رب فارحمْهـــــا ، وســـــامحْ واغفـــــرْ فلقـــــد كانـــــت مـــــن أهـــــل الخيـــــر

وحّـــــدتْ ربـــــاً ، وصـــــانت وحيـــــاً أحصـــــنتْ فرجـــــاً بجـــــوف الخـــــدر

خمســـــها صـــــلتْ ، وصـــــامتْ شـــــهراً ثـــــم زكّـــــت ، رغـــــم ظلـــــم الفقـــــر

صـــــانت الأولاد ، كانـــــت عونـــــاً أحســـــنتْ فـــــي الجهـــــر ، بـــــل والســـــر

وأحبـــــت أهلهـــــا ، لـــــم تكـــــرهْ بـــــذلتْ معروفهـــــا بالبشْـــــر

جـــــازتِ الكـــــل الجـــــزاءَ الأوفـــــي وإذا حلـــــتْ ضـــــيوفٌ تُقـــــري

وأطاعـــــت زوجهـــــا ، لـــــم تجحـــــدْ لـــــم تكـــــن تهفـــــو لـــــذل الغيـــــر

ثـــــم كانـــــت بالوصـــــايا تزهـــــو لـــــم تكـــــن ترنـــــو لـــــدرْك الكِبـــــر

كابـــــدت فـــــي العـــــيش ، كانـــــت ترعـــــى بعـــــض أغنـــــام بـــــأرض قفـــــر

تنشـــــد الأخـــــلاق فـــــي مَســـــعاها وتقـــــي الإحســـــاسَ ذل الكســـــر

إن سُـــــؤل النـــــاس ذلٌ يُخـــــزي ... وســـــؤال الغيـــــر أمـــــرٌ يُـــــزري

كـــم لهـــا فـــي كـــل عـــز فحـــوى! ... ثـــم نـــور العِـــز فيهـــا يَســـري

وإذا قالـــــت ، فقـــــولٌ فصـــــلٌ ... حزمُهـــــا ســـــام رفيـــــعُ القـــــدر

واســـــتهانت بالأمـــــاني دهـــــراً ... حلقـــتْ فـــي الجـــو مثـــل الطيـــر

فـــاخرت بالصـــون بعـــد التقـــوى ... إن ديـــــن الله خيـــــر الـــــذخر

نســـب الإيمـــان يبقـــى حقـــاً ... فخرُنـــا بالـــدين خيـــرُ الفخـــر

تلـــك (إكـــرامُ) التـــي مـــا حـــادت ... عـــن ســـجايا الخيـــر ، بـــل والطهـــر

أســـلمتْ للمـــوت نفســـاً تهفـــو ... لنعـــــيم الله خيـــــر الـــــذخر

ثـــم غابـــت فـــي الثـــرى ، واحزنـــي ... زهـــرة ماتـــت بـــأرض الزهـــر

هجرتْنـــا للرفيـــق الأعلـــى ... آه ، مـــا أقســـى عـــذاب الهجـــر!

تركتْنـــا فـــي العنـــاء العـــاتي ... لـــم يكـــن بـــالطوْع ، بـــل بـــالجبر

ودعتنـــا للحيـــاة الأســـمى ... خلفتْنـــا فـــي الســـراب المُـــزري

ثـــم راحـــتْ لليقـــين الأســـمى ... والخنـــا فـــي دارنـــا يستشـــري

والمنايـــا فـــي قرانـــا تتـــرى ... وعلـــى الأعنـــاق ســـيف الجـــور

حيـــة (إكـــرامُ) ، نحـــن المـــوتى ... فمتـــى نصـــحو لأخـــذ الثـــأر؟

ثأرنـــا مـــن كـــل مـــا أوهانـــا ... فحُرمنـــا مـــن عظـــيم الأجـــر

نحـــن يـــا إكـــرام مـــوتى صـــدقاً ... وقليـــلٌ – للـــورى – مـــا يَجـــري

فـــاقبلي منـــي العـــزا ، يـــا أختـــي! ... ولـــك العرفـــان بعـــد الشـــكر

واصـــبري حتـــى تحـــين الرجعـــى ... لـــيس للميْـــت اتخـــاذ الحِـــذر

كُتـــب المـــوتُ ، فمـــا مـــن بـــاق ... غيـــرُ مولانـــا ، الـــرحيم البـــر

فـــارحم اللهـــم أختـــاً ماتـــت ... واغفـــر اللهـــم كـــل الـــوزر

تحية شعرية لسلاطين آل عثمان

(إنها تحية أنقشها شعراً للسلاطين المؤمنين الموحّدين المظلومين المفترى عليهم ، من أشاوس آل عثمان بن أرطغرل ، سادة الزمان وعماليق المكان! وذلك بعد أن استعرضتُ تاريخهم الحافل بالبطولات والمناقب. وأدركتُ كيف نال منهم المستشرقون والمنافقون والمرتزقة ، ولماذا وكيف ، ولكن بعد حين.)

رحـــــلَ الألـــــى تشـــــجيهمُ الهيجـــــاءُ ... فاستأســـدتْ – فـــوق البطـــاح - الشـــاءُ

يـــــا آل عثمـــــان أزفّ تحيتـــــي ... شـــــعراً بـــــه يتـــــرنم الأدبـــــاء

وأمـــــدّ كفـــــاً بالســـــلام مُرحّبـــــا ... وصـــــدى القـــــريض يُحبـــــه الشـــــهداء

رفقـــــاً (أدِرْنـــــة) ، فالأبـــــاة أمانـــــة ... وجهـــــادهم - فـــــي الخـــــافقين - ضـــــياء

أحيـــــاءُ - عنـــــد الله - يُـــــرزق جمعُهـــــم ... فـــــرحين ، والمـــــأوى ثـــــوا وجـــــزاء

مستبشـــــرين بمـــــن ســـــيلحق ركـــــبَهم ... ويضـــــم كُـــــلاً – فـــــي الجنـــــان - لقـــــاء

كـــــم شـــــيّدوا الأمجـــــادَ فـــــوق ربوعنـــــا! ... وبهـــــم أبيـــــدَتْ – فـــــي الـــــدنا - الظلمـــــاء

كـــــم أوقفـــــوا الكفـــــارَ عنـــــد حُـــــدودهم ... جبـــــراً ، ومـــــا ردّتهـــــمُ البأســـــاء!

كـــــم أدّبـــــوا الفجـــــارَ دون هـــــوادةٍ! ... فـــــإذا الكِفَـــــار مُجنـــــدلٌ وسِـــــباء

كـــــم قـــــاتلوا لتكـــــون كِلْمـــــة ربنـــــا ... عُليـــــا ، ومـــــا أضـــــنتهمُ الهيجـــــاء!

حتـــــى إذا رحلـــــوا اســـــتحالتْ دُورنـــــا ... رُقعـــــاً تـــــداعى - فوقهـــــا - الأعـــــداء

كـــــلٌ يريـــــد مِـــــن الفريســـــة حظـــــه ... والـــــدَوْرُ قسّـــــم ، لـــــيس فيـــــه خفـــــاء

وإذا بقـــــوم يكشـــــفون زيـــــوفهم ... وهـــــمُ – لـــــدين الله – نِعـــــم فـــــداء!

وعلـــــى النقـــــيض هنـــــاك قـــــومٌ نـــــافقوا ... وهـــــمُ - لمـــــن غصـــــب الـــــدنا - عُمـــــلاء

يـــــا آل عثمـــــان معـــــالمُ حُكمكـــــم ... ذهبـــــتْ ، وحـــــل محلكـــــم سُـــــفهاء

يـــــا رب فـــــارحمْ مـــــن أتـــــى لـــــك مؤمنـــــاً ... والطـــــفْ بنـــــا ، عـــــاتٍ علينـــــا الـــــداء!

الآن طاب الموت!

(قال الدكتور راغب السرجاني – حفظه الله - يصف السلطان سليمان القانوني – رحمه الله تعالى – ما نصه: (سليمان القانوني ابن سليم ، ويُعرف في الغرب بسليمان العظيم ، وهو أحد أشهر السلاطين العثمانيين ، حكم مدَّة 48 عامًا ؛ منذ عام 926هـ ، وبذلك يكون صاحب أطول فترة حُكْم بين السلاطين العثمانيين. قضى السلطان سليمان القانوني ستة وأربعين عامًا على قمَّة السلطة في دولة الخلافة العثمانية ، وبلغت في أثنائها الدولة قمَّة درجات القوَّة والسلطان ؛ حيث اتسعت أرجاؤها على نحوٍ لم تشهده من قبلُ ، وبسطت سلطانها على كثير من دول العالم في قاراته الثلاث ، وامتدَّت هيبتُها فشملت العالم كلَّه ، وصارت سيدة العالم ؛ تخطبُ ودَّهَا الدول والممالك ، وارتقت فيها النظم والقوانين التي تُسَيِّرُ الحياة في دقَّة ونظام ، دون أن تُخالف الشريعة الإسلامية التي حرص آل عثمان على احترامها والالتزام بها في كل أرجاء دولتهم ، وارتقت فيها الفنون والآداب ، وازدهرت العمارة والبناء. فأما والده فالسلطان سليم الأول ، ووالدته حفصة سلطان ابنة منكولي كراني خان القرم ، وُلِدَ سليمان القانوني في مدينة طرابزون عام (900هـ - 1495م). وقد كان والده آنذاك واليًا عليها ، واهتمَّ به والده اهتمامًا عظيمًا ؛ فنشأ محبًّا للعلم والأدب والعلماء والأدباء والفقهاء ، واشتهر منذ شبابه بالجدية والوقار. تولَّى السلطان سليمان القانوني الخلافة بعد موت والده السلطان سليم الأول في (9 من شوال 926هـ - 22 من سبتمبر 1520م) ، وبدأ في مباشرة أمور الدولة ، وتوجيه سياستها ، وكان يستهلُّ خطاباته بالآية الكريمة: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ، وقد كانت الأعمال التي أنجزها السلطان في فترة حكمه كثيرة وذات شأن في حياة الدولة. ففي الفترة الأولى من حكمه نجح في بسط هيبة الدولة ، والضرب على أيدي الخارجين عليها من الولاة الطامحين إلى الاستقلال ، معتقدين أن صغر سنِّ السلطان - الذي كان في السادسة والعشرين من عمره - فرصة سانحة لتحقيق أحلامهم ، لكن فاجأتهم عزيمة السلطان القويَّة التي لا تلين ، فقضى على تمرُّد جان بردي الغزالي في الشام ، وأحمد باشا في مصر ، وقلندر جلبي في منطقتي قونية ومرعش ؛ الذي كان شيعيًّا ، وقد جمع حوله نحو ثلاثين ألفًا من الأتباع للثورة على الدولة. ولقد تعدَّدت ميادين القتال التي تحرَّكت فيها الدولة العثمانية لبسط نفوذها في عهد سليمان ؛ فشملت أوربا وآسيا وإفريقيا ؛ فاستولى على بلجراد سنة (927هـ - 1521م) ، وحاصر فيينا سنة (935هـ - 1529م) ؛ لكنه لم يُفلح في فتحها ، وأعاد الكَرَّة مرَّة أخرى ، ولم يكن نصيبها أفضل من الأولى ، وضمَّ إلى دولته أجزاءً من المجر بما فيها عاصمتها بودابست ، وجعلها ولاية عثمانية. وفي آسيا قام السلطان سليمان بثلاث حملات كبرى ضد الدولة الصفوية ؛ ابتدأت من سنة (941هـ - 1534م) ، وهي الحملة الأولى التي نجحت في ضمِّ العراق إلى سيطرة الدولة العثمانية ، وفي الحملة الثانية سنة (955هـ - 1548م) أُضيف إلى أملاك الدولة تبريز ، وقلعتا: وان وأريوان ، وأمَّا الحملة الثالثة فقد كانت سنة (962هـ - 1555م) وأجبرت الشاه طهماسب على الصُّلح وأحقية العثمانيين في كلّ من أريوان وتبريز وشرق الأناضول. كما واجه العثمانيون في عهده نفوذَ البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي ، فاستولى القائد أويس باشا والي اليمن على قلعة تعز سنة (953هـ - 1546م) ، ودخلت في عهده عُمَان والأحساء وقطر ضمن نفوذ الخلافة العثمانية ، وأدَّت هذه السياسية إلى الحدِّ من نفوذ البرتغاليين في مياه الشرق الأوسط. وفي إفريقيا دخلت ليبيا ،

والقسم الأعظم من تونس ، وإريتريا ، وجيبوتي ، والصومال ضمن نفوذ الخلافة العثمانية. وكانت البحرية العثمانية قد نمت نموًّا كبيرًا منذ أيام السلطان بايزيد الثاني ، وأصبحت مسؤولة عن حماية مياه البحار التي تطل عليها الدولة ، وفي عهد سليمان ازدادت قوَّة البحرية على نحو لم تشهده من قبل! وذلك بانضمام «خير الدين بربروس» ، وكان يقود أسطولاً قويًّا يُهاجم به سواحل إسبانيا والسفن الصليبية في البحر المتوسط ، وبعد انضمامه إلى الدولة منحه السلطان لقب «قبودان». وقد قام خير الدين بفضل المساعدات التي كان يتلقَّاها من السلطان سليمان القانوني بضرب السواحل الإسبانية ، وإنقاذ آلاف من المسلمين في إسبانيا ؛ فقام في سنة (935هـ - 1529م) بسبع رحلات إلى السواحل الإسبانية لنقل سبعين ألف مسلم من قبضة الحكومة الإسبانية. وقد أوكل السلطان إلى خير الدين بربروس قيادة الحملات البحرية في غرب البحر المتوسط ، وحاولت إسبانيا أن تقضي على أسطوله ؛ لكنها كانت تُخفق في كل مرَّة وتتكبَّد خسائر فادحة ، ولعلَّ أقسى هزائمها كانت معركة بروزة سنة (945هـ - 1538م). وقد انضمَّ أسطول خير الدين إلى الأسطول الفرنسي في حربه مع الهابسبورج ، وساعد الفرنسيين في استعادة مدينة نيس (950هـ - 1543م) ؛ وهذا ما أدَّى إلى تنازل فرنسا عن ميناء طولون الفرنسي برضاها للإدارة العثمانية ، وتحوَّل الميناء الحربي لفرنسا إلى قاعدة حربية إسلامية للدولة العثمانية في غرب البحر المتوسط. واتَّسع نطاق عمل الأسطول العثماني فشمل البحر الأحمر ؛ حيث استولى العثمانيون على سواكن ومصوع ، وأخرجوا البرتغاليين من مياه البحر الأحمر ، واستولوا على سواحل الحبشة ؛ وهو ما أدَّى إلى انتعاش حركة التجارة بين آسيا والغرب عن طريق البلاد الإسلامية. وكان السلطان سليمان القانوني شاعرًا له ذوق فني رفيع وخطَّاطًا يُجيد الكتابة ، ومُلمًّا بعدد من اللغات الشرقية من بينها العربية ، وكان له بصر بالأحجار الكريمة ، مغرمًا بالبناء والتعمير والتشييد فظهر أثر ذلك في دولته ، فأنفق بسخاء على المنشآت الكبرى ؛ فشيَّد المعاقل والحصون في رودس وبلجراد وبودا ، وأنشأ المساجد والصهاريج والقناطر في شتَّى أنحاء الدولة ، وبخاصة في دمشق ومكَّة وبغداد! بالإضافة إلى ما أنشأه في عاصمته من روائع العمارة. ويُؤَكِّد الباحث جمال الدين فالح الكيلاني - باحث عراقي متخصص في الدراسات التاريخية - أن عصر السلطان سليمان القانوني يُعتبر العصر الذهبي للدولة العثمانية ؛ حيث كانت الدولة الأقوى في العالم والمسيطرة على البحر الأبيض المتوسط. وظهر في عصره أشهر المهندسين المعماريين في التاريخ الإسلامي ؛ كالمهندس سنان باشا ؛ الذي اشترك في الحملات العثمانية ، واطَّلع على كثير من الطرز المعمارية حتى استقام له أسلوب خاص. ويُعَدُّ مسجد سليمان القانوني أو جامع السليمانية في إسطنبول - الذي بناه للسلطان سليمان في سنة (964هـ - 1557م) من أشهر الأعمال المعمارية في التاريخ الإسلامي. وفي عهده وصل فنُّ المنمنمات (أي الرسوم) العثمانية إلى أوج ازدهارها ، وقد قدَّم «عارفي» وثائق الحوادث السياسية والاجتماعية التي جرت في عصر سليمان القانوني في منمنمات زاهية ، ولمع في هذا العصر عدد من الخطَّاطين العظام ؛ يأتي في مُقَدِّمتهم حسن أفندي جلبي القره حصاري ؛ الذي كتب خطوط جامع السليمانية ، وأستاذه أحمد بن قره حصاري ، وله مصحف بخطِّه ، وهو يُعَدُّ من روائع الخطِّ العربي والفنِّ الرفيع ، وهو محفوظ بمتحف «طوبي قابي». وظهر في عهد السلطان سليمان عدد من العلماء في مقدمتهم: أبو السعود أفندي ؛ صاحب التفسير المعروف باسم: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». القانون والإدارة الذي اشتهر به السلطان سليمان القانوني واقترن باسمه هو وضعه

للقوانين التي تُنَظِّم الحياة في دولته الكبيرة ؛ هذه القوانين وضعها مع شيخ الإسلام أبو السعود أفندي ، وراعى فيها الظروف الخاصة لأقطار دولته ، وحرص على أن تَتَّفق مع الشريعة الإسلامية والقواعد العرفية ، وقد ظلَّت هذه القوانين - التي عُرفت باسم «قانون نامه سلطان سليمان» ؛ أي دستور السلطان سليمان - تُطَبَّق حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري الموافق التاسع عشر الميلادي. ولم يُطلق الشعبُ على السلطان سليمان لقب القانوني لوضعه القوانين ؛ وإنَّما لتطبيقه هذه القوانين بعدالة ؛ ولهذا يعدُّ العثمانيون الألقاب التي أطلقها الأوربيون على سليمان في عصره - مثل: الكبير ، والعظيم - قليلة الأهمية والأثر إذا ما قُورنت بلقب «القانوني» ، الذي يُمَثِّل العدالة. ولم يكن عهد سليمان القانوني العهد الذي بلغت فيه الدولة أقصى حدود لها من الاتساع ، وإنما هو العهد الذي تمَّت فيه إدارة أعظم دولة بأرقى نظام إداري. ولم يترك السلطان سليمان القانوني الجهاد قط ، وفي أواخر أيامه أصابه مرض النِّقْرِس ، فكان لا يستطيع ركوب الخيل ؛ ولكنه كان يتحامل – رحمه الله - إظهارًا للقوَّة أمام أعدائه ، وقد بلغ السلطان سليمان القانوني من العمر 74 عامًا ، ومع ذلك عندما علم بأن ملك الهايسبرج أغار على ثغر من ثغور المسلمين ؛ قام السلطان سليمان القانوني للجهاد من فوره! ومع أنه كان يتألَّم من شدَّة المرض ، فإنَّه قاد الجيش بنفسه ، وخرج على رأس جيش عرمرم في (9 من شوال 973هـ - 29 من أبريل 1566م) ، ووصل إلى مدينة سيكتوار المجرية ، وكانت من أعظم ما شيَّده المسيحيون من القلاع ، وكانت مشحونة بالبارود والمدافع ، وكان قبل خروجه للجهاد نصحه الطبيب الخاص بعدم الخروج لعلَّة النِّقْرِس التي به. فكان جواب السلطان سليمان الذي خلده له التاريخ: «أحب أن أموت غازيًا في سبيل الله». سبحان الله! هذا السلطان كان قد بلغ من الكبر عتيًّا ، وكان يملك تحت قبضته نصف الدنيا ، وملوك الأرض طوع بنانه ، وكان بإمكانه التمتُّع بحياة القصور ، والتنقُّل بين الغرف والاستمتاع بالملذَّات ، ومع ذلك أبى إلَّا أن يخرج غازيًا في سبيل الله. وخرج بالفعل على رأس جيشه ، وما كان يستطيع أن يمتطي جواده ؛ لازدياد علَّة النِّقْرِس عليه ، فكان يُحْمَل في عربة ؛ حتى وصل إلى أسوار مدينة سيكتوار ، وابتدأ في حصارها ، وفي أقلَّ من أسبوعين احتلَّ معاقلها الأمامية ، وبدأ القتال واشتدَّ النزال ، وكان أصعب قتال واجهه المسلمون ؛ لمتانة الأسوار ، وضراوة المسيحيين في الدفاع عن حصنهم. واستمرَّ القتال والحصار قرابة خمسة شهور كاملة ، وما ازداد أمر الفتح إلَّا صعوبة ، وازداد همُّ المسلمين لصعوبة الفتح ، وهنا اشتدَّ مرض السلطان ، وشعر بدنوِّ الأجل ، فأخذ يتضرَّع إلى الله تعالى ، وكان من جملة ما قاله: «يا رب العالمين ؛ افتح على عبادك المسلمين ، وانصرهم ، وأضرم النار على الكفار». فاستجاب الله دعاء السلطان سليمان ، فأصاب أحدُ مدافع المسلمين خزانة البارود في الحصن ، فكان انفجارًا مهولًا ، فأخذت جانبًا كبيرًا من القلعة فرفعته إلى عنان السماء ، وهجم المسلمون على القلعة ، وفُتحت القلعة ، ورُفعت الراية السليمانية على أعلى مكان من القلعة. وعند وصول خبر الفتح للسلطان فرِح ، وحمد الله على هذه النعمة العظيمة ، وقال: «الآن طاب الموت ، فهنيئًا لهذا السعيد بهذه السعادة الأبدية ، وطوبى لهذه النفس الراضية المرضية ، من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه». وتخرج روحه الطاهرة إلى بارئها ، إلى جنة الخلد - إن شاء الله - في (20 من صفر 974هـ - 5 من سبتمبر 1566م). وأخفى الوزير محمد باشا نبأ وفاة السلطان! حتى أرسل لولي عهده السلطان سليم الثاني ، فجاء وتَسَلَّم مقاليد السلطنة في سيكتوار ، ثم دخل إسطنبول ومعه جثمان أبيه الشهيد ، وكان يومًا مشهودًا لم يُرى مثله ، إلَّا في وفاة

السلطان محمد الفاتح ، وعلم المسلمون خبر وفاة السلطان سليمان القانوني ، فحزنوا أشدَّ الحزن ؛ أمَّا على الجانب الأوربي ؛ فما فرح المسيحيون بموت أحدٍ بعد بايزيد الأول ومحمد الفاتح كفرحهم بموت السلطان سليمان القانوني المجاهد الغازي في سبيل الله ، وجعلوا يوم وفاته عيدًا من أعيادهم ، ودَقَّت أجراس الكنائس فرحًا بموت مُجَدِّد جهاد الأُمَّة في القرن العاشر – رحمه الله - الخليفة سليمان الأول أو سليمان القانوني (926- 974هـ) بلغت الدولة في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت ، واشتهر بسليمان القانوني ، لأنه وضع نظمًا داخلية في كافة فروع الحكومة ، فأدخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه محمد الفاتح ، وجعل أكبر الوظائف العليا وظيفة المفتي ، وأدخل التنظيمات الدقيقة على جيش الإنكشارية ، وكانت كلها في ضوء الشريعة الإسلامية ، ولم تكن مستمدة من القوانين الوضعية كما قد يتبادر إلى الأذهان. ومن جهة أخرى تمرد حكام الشام: فما إن وصل خبر موت السلطان سليم الأول إلى جانبرد الغزالي إلا وأعلن تمرده ، وعرض على حاكم مصر أن يحذو حذوه فخدعه حاكم مصر بإبداء الموافقة ، وفي نفس الوقت كان يطلع الخليفة سليمان على كل ما يرمى إليه حاكم الشام ، وبدأ حاكم الشام في تنفيذ تمرده بمحاصرة حلب ، ولكن بمجرد وصول الجيوش العثمانية إلى حلب ، ولَّى حاكم الشام الأدبار ثم تحصن بدمشق وواجه الجيوش العثمانية فهزم ، وحاول أن يفر متنكرًا فسلمه أحد أعوانه للعثمانيين فقتلوه. في بلاد فارس (الدولة الصفوية): في عام 941هـ دخل العثمانيون تبريز للمرة الثانية ، ومنها اتجهوا إلى بغداد فضمت إلى أملاك الدولة العثمانية ، وفي عام 954هـ طلب أخو الشاه الصفوي مساعدة السلطان ضد أخيه ، فدخل العثمانيون تبريز للمرة الثالثة. في بلاد العرب: احتدم الخطر الإسباني والبرتغالي الصليبي على المسلمين ، فبعدما استولوا على آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس ، وعاهدوا المسلمين على أن يكفلوا لهم الحرية الدينية وممارسة الشعائر ، لكنهم سرعان ما أخلفوا العهود ونقضوا المواثيق ، فأخذت محاولات التنصير الضارية تنهمر على المسلمين في الأندلس ، مستعملين في ذلك كل الوسائل من إبادة وتشريد وهتك للأعراض واستعباد ، وغيرها من الوسائل التي يعجز القلم عن وصفها ، فهام المسلمون في الأندلس على وجوههم ، منهم من لحقته الإبادة ، ومنهم من ذاب في المجتمع النصراني ، ومنهم من استطاع أن يفر بدينه ليهاجر للأمصار الإسلامية. ولم يكتف الأسبان والبرتغاليون بالأندلس ، فبعد أن استتب لهم الأمر فيها اتجه الأسبان نحو الأمصار الإسلامية الأخرى ليعيدوا المأساة فيها ، واحتلوا بعض المراكز في شمال إفريقيا مثل طرابلس والجزائر وبنزرت ووهران وغيرها. فأرادت الدولة العثمانية تحرير شمال إفريقيا من الأسبان ، ثم الاتجاه للأندلس ولمّ شمل المسلمين. وماذا عن خبر البحّارة خير الدين وأخوه عروج: في عهد السلطان سليم الأول ظهر أحد البحارة الذين لهم صفحات لامعة في التاريخ الإسلامي ، وهو البحار خير الدين الذي كان قرصانًا نصرانيًّا في جزر بحر إيجة ثم اعتنق الإسلام هو وأخوه عروج ، ونذرا نفسيهما لخدمة الإسلام ، وكانا ينتقمان من القراصنة النصارى الذين كانوا يعترضون السفن المسلمة ويسترقون ركابها وينهبون خيراتها ، فكانا بالمثل يعترضان سفن النصارى ويبيعان ركابها عبيدًا ، ثم في عهد السلطان سليم الأول أرسلا إليه إحدى السفن التي أسروها ، فقبلها منهما فأعلنا طاعتهما وخدمتهما للعثمانيين. وانطلقا يطهران شواطئ إفريقيا من الصليبيين ، فحرر عروج مدينة الجزائر ومدينة تلمسان ، وكان ذلك في عهد السلطان سليم الأول ، فعين خير الدين واليًا على الجزائر ، وبالتالي ضمت الجزائر إلى الدولة العثمانية.

وأرسل السكان المسلمون إلى الخليفة يستغيثونه بعد احتلال الأسبان لطرابلس ، فأرسل إليهم قوة بحرية صغيرة عام 926هـ بقيادة مراد أغا ولكنه فشل في تحريرها ، فأرسل الخليفة الأسطول العثماني بقيادة طورغول بك فحرر المدينة من الأسبان وطردهم شر طردة ، وواصل تحرير المدن الإسلامية من وطأتهم فحرر بنزرت ووهران ، وغزا ميورقة (إحدى جزر البليار جنوب شرقي أسبانيا) وكورسيكا ، وبذلك غدت طرابلس الغرب (ليبيا) ولاية عثمانية. ودعا الخليفة سليمان البحار خير الدين وأمره بالاستعداد لغزو تونس وتحريرها من ملكها الحفصي ، الذي اشتهر بميله إلى شارلكان الملك النصراني شديد العداوة للإسلام ، فأعد خير الدين العدة وبنى أسطولاً كبيرًا لهذا الغرض ، وسار من مضيق الدردنيل قاصدًا تونس ، وفي طريقه أغار على مالطة وجنوبي إيطاليا للتمويه ، ولكيلا يعرف مقصده الأساسي ثم وصل تونس ، وبمنتهى السهولة سيطر عليها وعزل السلطان حسن الحفصي ووضع مكانه أخاه ، فاشتاط شارلكان ملك إسبانيا وإيطاليا والنمسا وغيرها من بلاد أوربا ، وصمم على استعادة نفوذه في تونس وإعادة ملكها العميل المخلص له ، فقاد شارلكان الجيوش بنفسه ، وتمكن من دخول تونس وترك الحرية لجنوده في النهب والقتل وهتك الأعراض وهدم المساجد والسبي والاستعباد ، وأعاد السلطان حسن الحفصي للحكم بعد أن أجبره على التنازل له عن مدن بنزرت وعنابة وغيرها ، واضطر خير الدين إلى الانسحاب من تونس. وكما ذكرنا من قبل الخطر الذي بدأ يظهر من قِبَل البرتغاليين واحتلالهم لبعض المواقع في جنوب شبه الجزيرة العربية ومواصلة الزحف لنبش قبر الرسول ، هذا بالإضافة إلى خطرهم على بلاد الهند التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطان المغول المسلمين. أمر الخليفة سليمان بتجهيز أسطول للسيطرة على الجزيرة العربية وتطهيرها من البرتغاليين ، فتمكن العثمانيون من ضم اليمن وعدن ومسقط ومحاصرة جزيرة هرمز ، وبالتالي أغلقوا الأبواب في وجه البرتغاليين وأهدافهم الدنيئة ، وفي نفس الوقت استنجد المغول المسلمون بالسلطان سليمان من البرتغاليين الذين احتلوا بعض سواحل الهند ، فأرسل إليهم أسطولاً تمكن من تحرير بعض القلاع من البرتغاليين ، ولكن الأسطول العثماني هزم في معركة ديو البحرية ، فاضطر إلى الانسحاب وخاصة بعدما حاول الأعداء إثارة الفتن وإشاعة أن العثمانيين يريدون ضم الهند. وعندما سمع البحار خير الدين وأخوه عروج بما حدث للمسلمين قاما لنجدة إخوانهم في الأندلس ، وكانت سفنهم تتجه إلى شواطئ الأندلس لتحمل المسلمين الفارين بدينهم من محاولات الإبادة والتنصير الإسبانية إلى الأمصار الإسلامية ، وفي نفس الوقت أراد أن ينتقم لمسلمي الأندلس من نصارى أوربا بصفة عامة ونصارى إسبانيا بصفة خاصة ، والذين اشتركوا جميعًا وباركوا إبادة المسلمين في الأندلس. فأغار على الكثير من شواطئ إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وزج في سفنه بالكثير من أهالي هذه البلاد تمهيدًا لبيعهم عبيدًا في الأمصار الإسلامية ، ليعلمهم أن المسلمين بقدر سماحتهم وعفوهم ، فهم قادرون على الانتقام لإخوانهم ، وكان قد صب تركيزه على إسبانيا بعد أن عقدت معاهدة بين العثمانيين وفرنسا. وانتصر خير الدين بعد انسحابه من تونس على أسطول شارلكان في عام 944هـ ، وحاول فتح جزيرة كريت ولكنه فشل في فتحها. واستغل الخليفة انشغال أوربا بالحروب كحروب شارلكان ملك النمسا مع ملك فرنسا فرانسوا وأيضًا الخلاف المذهبي بين الكاثوليك والبروتستانت واتجه لفتح جزيرة رودس ، وتمكن بالفعل من فتحها عام 929هـ ، وفر فرسان القديس يوحنا من رودس إلى جزيرة مالطة ، التي أهداها لهم شارلكان ملك النمسا. تحويل القرم إلى ولاية عثمانية: وقع الخلاف بين التتر المسلمين الذين يحكمون

القرم ، والتي تعترف بسيادة الدولة العثمانية ، فتدخلت الدولة العثمانية وجعلتها ولاية عثمانية عام 939هـ. وقرر السلطان سليمان أن يجعل ولاية الأفلاق ولاية عثمانية ، فدخلها عام 931هـ. ودخل عاصمتها بخارست ، ولكن الأعيان فيها ثاروا بمساعدة أمير ترانسلفانيا ، وعينوا أميرًا جديدًا فوافق الخليفة في مقابل زيادة الجزية. تحالف العثمانيين مع فرنسا: اشتد خطر شارلكان ملك النمسا على فرنسا ، وخاصة بعدما أحاط بها من جميع الجهات ، فقد ضم إليه إسبانيا وأجزاء كبيرة من إيطاليا وهولندا وألمانيا ، فاقترح ملك فرنسا على الخليفة سليمان القانوني أن يهاجم شرق مملكة شارلكان ، في حين يهاجم ملك فرنسا من الغرب ، فاقتنع الخليفة بالفكرة. وأرسل الخليفة إلى ملك المجر يأمره بدفع الجزية ، فقتل الملك رسول الخليفة. فجهز الخليفة جيشًا قاده بنفسه وسار ففتح بلغراد عام 927هـ بعد أن كانت أكبر مانع للعثمانيين لدخول بلاد المجر. وسار الخليفة بنفسه ومعه جيش قوامه 100.000 جندي و300 مدفع و800 سفينة في نهر الدانوب جنوب بلاد المجر ، جاعلاً بلغراد قاعدته الحربية ففتح عدة قلاع في أثناء مسيرته ، واستطاع أن يفتح عاصمتها بودا في عام 932هـ بعد أن هزم ملك المجر وفرسانه والتقى بأعيان البلاد ، اتفق معهم على تعيين جان زابولي ملك ترانسلفانيا ملكًا على المجر. وادعى أخو الملك شارلكان فرديناند سلطته على المجر واستطاع أن يحتل عاصمتها بودا ، فاستنجد ملكها جان زابولي بالخليفة ، فانقضت الجيوش العثمانية على بودا التي فر منها فرديناند فتبعته الجيوش المظفرة وحاصرت عاصمة النمسا ويانه (فيينا) ، وأحدثت ثغرًا في أسوارها إلا أن الذخيرة نفدت منهم وأقبل فصل الشتاء فرجع الخليفة إلى بلاده. وفي عام 938هـ حاول ملك النمسا احتلال بودا ولكنه لم يستطع ، فسار إليه الخليفة في العام الثاني ، ولكنه رجع عندما علم باستعدادات شارلكان. فرنسا تنقض الحلف مع العثمانيين ثار الرأي العام في أوربا على تحالف فرنسا النصرانية مع الدولة العثمانية المسلمة ضد شارلكان ومملكته النصرانية ، فما كان من فرانسوا ملك فرنسا إلا أن عقد هدنة مع ملك النمسا ونقض التحالف مع العثمانيين ، فاستغلت النمسا الفرصة وأعادت الكرة في الحروب مع العثمانيين ولكنها انهزمت عام 943هـ. تحريض أمير البغدان على العثمانيين قام أخوا الملك شارلكان بتحريض أمير البغدان على الدولة العثمانية ، فأعلن تمرده فتمكن منه العثمانيون وعينوا أخاه أصطفان أميرًا للبغدان ، وعززوا الحامية العثمانية فيها. مواصلة الحروب مع النمسا اقتنع زابولي ملك المجر بفكرة فرديناند في اقتسام المجر ، وإلغاء الحماية العثمانية عليها ، وأرسل فرديناند صورة من الاتفاق السري بينهما للخليفة ليعلمه بعدم ولاء زابولي له ، وقبل أن يعاقب الخليفة الملك زابولي كان الموت أسرع إلى زابولي عام 946هـ ، فاستغل فرديناند الفرصة ليحتل المجر فاحتل مدينة بست (على الضفة الأخرى لنهر الدانوب والمواجهة لمدينة بودا واللتان اندمجتا معًا لتكونا العاصمة الحالية للمجر بوادبست) ، فانقض عليهم الجيش العثماني عام 947هـ ففر النمساويون. وبهذا أصبحت المجر ولاية عثمانية ، ورضيت أرملة زابولي بذلك حتى يكبر ابنها الذي ما زال طفلاً ، وأخيرًا عقدت معاهدة بين العثمانيين والنمسا لمدة خمس سنوات تدفع بموجبها النمسا جزية سنوية مقابل ما بقي تحت يديها من المجر. واستمر الأوربيون النصارى في نقض العهود فتنازلت إيزابيلا أرملة زابولي عن ترانسلفانيا لفرديناند ، وبذلك نقض العهد بين العثمانيين والنمسا ، فأسرعت الدولة العثمانية بالسيطرة على ترانسلفانيا عام 957هـ. وأرادت الدولة العثمانية استمالة أحد الأطراف الصليبية إليها حتى تفرق وحدتهم ضدها ، فعقدت مع فرنسا اتفاقية في عام 942هـ ، ولكنها شملت

الكثير من الامتيازات لفرنسا التي سببت مشاكل كثيرة للعثمانيين حتى سقطت الخلافة ، خاصة وأن الكثير ممن خلفوا الخليفة سليمان قد تبعوه في منح الامتيازات التي جعلت للأجانب دولة داخل الدولة العثمانية ، وجعلت القنصل يحكم بقوانين بلاده في الدولة العثمانية في كل ما يتعلق بالرعايا الفرنسيين ، ومن أمثالها: ألا تسمع الدعاوى المدنية للسكان المسلمين ضد تجار ورعايا فرنسا ، ولا يحق لجباة الخراج إقامة دعاوى عليهم ، وأن يكون مكان دعواهم عند الصدر الأعظم لا عند أي محكمة كباقي الشعب ، وإذا خرج فرنسي من الدولة العثمانية وعليه ديون فلا يسأله أحد عنها ، وتكون في طي النسيان ، وغيرها من الامتيازات التي جعلت لهم نفوذًا كبيرًا في أنحاء الدولة ، وبمرور الزمن أصبحوا يعيشون في أرض يباح لهم فيها فعل كل ما يريدون من استحلال للمنكرات والفجور ، ولا يستطيع أحد أن يكلمهم ، بل قيل إن سجونهم التي كانت تدار بواسطة بلادهم في الدولة العثمانية كانت عبارة عن قصور ، بها ما لذ وطاب من الجواري والخمور وغيرها. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أخذت كل دولة أجنبية تطالب بامتيازات لها في الدولة العثمانية كلما قوي أمرها ، ليزداد الخناق على الدولة العثمانية من الداخل ، إضافةً إلى الخناق المفروض عليها من الخارج والمتمثل في الحروب. ولقد أسر التتر المسلمون في القرم - في إحدى غاراتهم على الروس - فتاة بالغة الجمال تدعى روكسلان ، فأهدوها إلى الخليفة الذي اتخذها زوجة له ، وقيل إنها كانت يهودية روسية ، فعكفت على التدخل في شئون الحكم ، فطلبت من الخليفة أن يسمح لليهود الذين طردوا من الأندلس مع المسلمين بالاستيطان في أرجاء الدولة العثمانية ، والذين يطلق عليهم يهود الدونمة ، والذين لم يحفظوا الجميل للعثمانيين بعد أن رفضهم العالم وضاقت بهم الأرض بما رحبت ، فلم يجدوا إلا الدولة العثمانية تفتح لهم أحضانها ، وتظلهم بظلها ، والذين سيكون لهم دور رئيسي فيما بعد في سقوط الخلافة العثمانية ، وتوسطت أيضًا لدى الخليفة ليمنع التتر في القرم من محاربة الروس ، برغم أن الروس في ذلك الوقت كانوا قد سيطروا على أكثر بلاد التتر ، وارتكبوا فيها أبشع الجرائم التي تدل على حربهم الصريحة للإسلام. ولم تكتف روكسلان بذلك ، بل اجتهدت لتولي ابنها من السلطان سليمان - والذي سمِّي بسليم - الخلافة بعد أبيه برغم وجود أخيه الأكبر مصطفى القائد العظيم الذي حظي بحب الجيش والشعب له ، فقامت بعمل دسيسة نفذها الصدر الأعظم رستم باشا (المعيّن) بواسطتها وهو في نفس الوقت (زوج ابنتها من السلطان)! فحرّض رستم باشا الخليفة ضد ابنه ، وكتب إليه يحذره أن ابنه مصطفى يريد عزله وتنصيب نفسه على السلطنة فخرج إليه الخليفة ، وكان مصطفى يحارب الدولة الصفوية فاستدعاه أبوه إلى خيمته ، فما إن جاء ابنه حتى انقض عليه بعض الخدم فخنقوه ، ولم تكتف الأفعى بقتل مصطفى فأرسلت من يقتل ابنه الرضيع. ثم توفي الخليفة سليمان عام 974هـ ، وتولى بعده: الخليفة سليم الثاني).هـ. وأما عن سليمان القانوني المفترى عليه ، فقد كتب عنه وعن فضله ومناقبه الجمة الأستاذ جمال بن حويرب ، ما نصه: (لقد كان السلطان سليمان القانوني رجلاً عظيماً وقائداً مغواراً: فمنذ 1538 أمر السلطان سليمان بمحاربة البرتغاليين أينما كانوا ، وكان يرسل سفنه في كل مكان للدفاع عن أي مستغيث به حتى قام بتأمين كثير من المدن الإسلامية. وبانضمام القائد خيرالدين باربروسا إلى البحرية العثمانية استطاع السلطان أن يؤسس أقوى الأساطيل البحرية ، التي استطاعت أن تقلل من هجمات شارل الخامس وأمنت شمال إفريقيا تونس والجزائر وبعضا من المغرب ، واستطاع إنقاذ آلاف المسلمين من قبضة الأسبان قيل بلغ عددهم 70 ألفا. ولقد بقي السلطان سنة كاملة لم يرجع إلى قصره حتى حرر بغداد من

الصفويين ، وإني أنصح باقتناء كتاب "سلطان الشرق العظيم سليمان القانوني" ، وهو من تأليف هارلود لامب وقد ترجم إلى العربية ، وهو كتاب ممتع ومفيد).هـ. وأما روكسلان زوجة سليمان القانوني المفترى عليها ، فقد كتب عنها وعن فضلها ومناقبها الجمة الأستاذ جمال بن حويرب ، ما نصه: (لم يكن في ظنّ ميرال أوكاي ، التي ولدت في أنقرة سنة 1959م ، وهي كاتبة سيناريو مسلسل القرن العظيم أو ما ترجم عند العرب "بحريم السلطان" ، والذي أثار ضجة كبيرة في تركيا حتى أوصلت بعض المتحمسين الأتراك إلى التظاهر أمام القناة التركية المنتجة. وكتبت الصحف عنه كثيراً من المقالات خاصة حول شخصية أم السلطان سليم الثاني "روكسلان" ، التي ظهرت في المسلسل بشكل غير لائق بها ولا يمت إلى تاريخها ولا حقيقتها بصلة ، ولكن السيناريست "أوكاي" أخذت ما كتبه الأعداء عنها ولم يكتبه أحد من مؤرخي الدولة العثمانية فنسجت من خيالها هذا الدور الفظيع. والكاتبة أيضا ليست مؤرخة ولا علاقة لها بتاريخ بني عثمان ، ولكنها كانت تنفذ ما يطلبه منها المنتج والمخرج لهدف الإثارة والترويج ولو على حساب الحقيقة التاريخية. وهي ليست بدعا من الكتّاب ، بل أغلب مؤلفي القصص التاريخية يفعلون مثل فعلها عندما يكون نصب أعينهم حاجة المنتجين للربح وترويج أعمالهم التاريخية وإلا ستكون خسارتهم فادحة ، ولا ألومهم على ذلك وإنما ألومُ من يصدق هذا التاريخ ويعتقد أنه حقيقة! وأما "روكسلان"أو "روكسانة" الجارية الأوكرانية ، التي عرفت بخرّم سلطان أصبحت والدةً لرجل يعدّ من أعظم السلاطين العثمانيين وهو سليم الثاني ، ولها أفضال كثيرة وأوقاف وأعمال خيرية ، منها إكمال عيون زبيدة التي بدأتها زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد ، حيث وصل إلى علمها أنّ المياه صارت شحيحة لأهل مكة ، فأمرت بإكمال العيون حتى تصل إلى مكة المكرمة ، وقد قامت أيضاً ببناء مستشفيات ومبرات وأعمال خيرية ومساجد في تركيا وفلسطين ومكة وغيرها من بلاد المسلمين ، ولا يزال هناك مخطوطات ومصاحف تحمل اسمها أوقافاً لطلبة العلم والمساجد ، فهل يصح أن تسمى هذه المرأة الصالحة بالأفعى اليهودية كما ينعتها بعض من لا علم لديه؟ وهل نصدق ما يظهره هذا المسلسل عنها؟ الجواب: لا! ولن نقبل بتشويه هذا التاريخ العظيم لمجرد هوى كاتبة لا تعرفه ، هذا وقد توفيت هذه المرأة الجليلة في 18 إبريل من عام 1558م رحمها الله تعالى. ولا أدري ما سر إصرار بعض المؤرخين الغربيين على تشويه صورة والدة سليم الثاني ، وقد يكون هناك أسباب خفية منها أن سليم الثاني قام بأعمال عظيمة في إيقاف التوغل الأوروبي ، حتى ضربت جيوشه البرتغاليين في الشرق الأقصى وقام بت أمين كثير من البلدان الإسلامية الخاضعة لسلطانه ، مفوتاً فرصة كبيرة على الطامعين الأوربيين وغيرهم ، أم هي الادعاءات البغيضة على سلاطين الإسلام حتى تبقى صورة المسلمين مشوهة أمام العالم المتقدم! وبهذا يستطيعون التشكيك في الإسلام نفسه!).هـ. وتحت عنوان: (القصة الحقيقية للسلطان العثماني سليمان القانوني - مرارة الواقع ودراما كاذبة – وليس كما حرفها الكفار وجعلوا مسلسل حريم السلطان هي الرواية ، فقد كتب الأستاذ صلاح أبو دية ما نصه: (إنها قصه من تاريخنا المشرف العظيم ، وللأسف كثير منا لا يعرف هذا التاريخ ، والأغرب أن قصتنا اليوم عن ملك هو من أعظم ملوك الإسلام وأعظم سلاطين الأرض على مر العصور ، يكفي أن أقول بأن دولته ومملكته هي الأكبر والأقوى والأعظم في تاريخ البشريه باستثناء ملك سليمان! تخيل أن 99 بالمئة من المسلمين لا يعلمون شيء عن هذا السلطان ولا حتى يعلمون اسمه! إنه السلطان سليمان القانوني من خلفاء الدولة العثمانية وهو من أعظم سلاطين الإسلام وأعدلهم وأكثرهم

جهاداً! وللأسف الشديد شُوهت صورة الدولة العثمانية من الغربيين والمناهج التعليمية لصرف أمة الأسلام عن عظيم تاريخها! أما السلطان سليمان القانوني فهو أكثر سلاطين المسلمين جهاداً وغزواً في أوروبا – فلقد وصلت جيوش المسلمين في عهده إلى قلب أوروبا عند أسوار فيينا مرتين! فهو بذلك مجدد جهاد الأمة في القرن العاشر! أقام السنّة وأحيا الملّة وقمع البدعة والروافض! صاحب انتصار المسلمين في معركة موهاكس التي كانت من أيام الله الخالدة ، وتُعد غرة المعارك الإسلامية في شرق أوروبا بعد معركة وبوليس وفتح القسطنطينية - وهو أعظم سلاطين الدولة العثمانية وأكثرهم هيبة ورهبة في قلوب النصارى وأشدهم خطرا عليهم ، وكان من خيار ملوك الأرض! حكم المسلمين قرابة ثمانية وأربعين سنة ، وامتدت دولة الخلافة الإسلامية في عهده في ثلاث قارات وأصبحت القوة العظمى في العالم بأسره بلا منازع ، وتمتلك أعتى الجيوش والأسلحة وصاحبة السيادة في البحار والمحيطات! يقول المؤرخ الألماني هالمر: "كان هذا السلطان أشد خطراً علينا من صلاح الدين نفسه". ويقول المؤرخ الإنجليزي هارولد: "إن يوم موته كان من أيام أعياد النصارى". فمَن كان السلطان سليمان الأول "القانونى"؟ إنه عاشر سلاطين الدولة العثمانية وثاني خليفة للمسلمين في الدولة العثمانية - وُلد السلطان سليمان خان الأول بن السلطان سليم الأول عام 900هـ - كان طويل القامة حسن الوجه - وكان أبوه هو السلطان سليم الأول الذي ضم مصر والشام للدولة العثمانية - والذي تنازل له آخر خليفة عباسي في القاهرة عن الخلافة وأرسل له مفاتيح الحرمين - وأصبح أول خليفة من الدولة العثمانية ولُقب بخادم الحرمين الشريفين. وكان ميلاد السلطان سليمان الأول – رحمه الله – خير وبركة على الأمة الاسلامية واستبشر به المسلمون خيراً - وظل السلطان سليمان الأول – رحمه الله – في كنف أبيه السلطان سليم يربيه ويرعاه ويدربه على أمور السياسة والحكم - فكان أميراً على بعض الولايات في الأناضول أثناء خلافة أبيه ، وظل على ذلك الأمر حتى توفي أبوه السلطان سليم الأول عام 926هـ ، وتولى الخلافة سليمان الأول ودخلت الدولة الإسلامية في عهد جديد ، عهد السلطان الفاتح الغازي المجاهد سليمان الأول! تولى السلطان سليمان الأول الخلافة وهو ابن 26 سنة! – وكان أول شيء فعله السلطان سليمان – رحمه الله – أنه أقام السنّة وأعلى منارها وقمع البدعة وأهلها وقضى على الروافض وأحيا الملة ونشر العدل في ربوع الدولة الإسلامية فاستبشر الناس خيرا بعهده وكان السلطان سليمان يستفتح رسائله بقول الله تعالى: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) تيمنا بنبي الله سليمان – حتى قال عنه المؤرخون إنه "سليمان زمانه"! لكثرة جنده ولعظيم هيبته ولنفاذ أمره في ملوك الأرض ، ولإقامته للسنّة ولجهاده ضد النصارى ، وأجمع المؤرخون من المسلمين وغيرهم أن ذروة مجد الدولة العثمانية وأعظم أيامها كان في أيام السلطان سليمان القانوني - وأنه كان آخر سعد الدولة العثمانية – وكان رحمه الله رؤوفا برعيته ، وترأف بحال الناس فأطلق سراح 600 مسجون من مأسوري مصر. وردع الظالمين عن المظالم ، وردع أهل الشرور والمفاسد ، وأمن الناس في أيامه وانتشر العدل في سائر الأركان ، واندثر الظلم ، واجتهد رحمه الله في أول جلوسه في نفي الزنادقة والمبتدعين في الدين! وعمل السلطان سليمان تعديلات إدارية في إدارة الدولة الإسلامية وشؤون أفرادها من مختلف الديانات والجنسيات والأعراق والأقليات ، فجلب السلطان سليمان العلماء الربانيين ، وجلس معهم ووضع قوانين إدارية مستمدة من الشريعة الإسلامية ، وبالفعل كان من أهم أعمال السلطان سليمان الإدارية أنه وضع قانون الدولة العثمانية المسمى "قانون سليمان

نامه" أي "قانون السلطان سليمان"! وكان الذي شاركه في وضع تلك القوانين من القرآن والسنة هو العالم الجليل أبو السعود أفندي المفسر الكبير وصاحب التفسير العظيم "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" المشهور بـ "تفسير أبى السعود". فانظروا كيف كان حكام المسلمين يستعينون بالعلماء ولا يستغنون عن مشورتهم ، وجعل السلطان سليمان منصب الفتوى أعلى المناصب قاطبةً بعد منصب الخلافة! وبعد وضع تلك القوانين الإدارية التي تحكم الدولة الاسلامية ، شرع السلطان سليمان في تطبيقها بكل عدل ومساواة وبكل حزم - فكما قيل: الحزم سياج العدل! ومن هنا جاءت تسمية السلطان سليمان الأول بـ"القانوني" ، ليس لأنه من وضع القوانين - بل لتطبيقه تلك القوانين بكل صرامة لا يفرق بين كبير أو صغير ولا بين عامة وخاصة! ومنذ تولي السلطان سليمان القانوني الخلافة - لم يركن إلى الدعة والراحة - بل لبس لامة الحرب من أول يوم ، وظل مجاهدا إلى آخر يوم في عمره ، وما ترك الجهاد قط - وما كان ينزل من على صهوة جواده إلا ليمتطي جواداً آخر ليمضي مجاهداً في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله! ولا عجب من أن معظم الحديث عن السلطان سليمان القانوني كان عن جهاده - لأنه لا يوجد جانب أعظم ولا أروع في سيرة السلطان سليمان مثل جهاده ضد المشركين في أوروبا وفتوحاته المجيدة! ولقد استطاع السلطان سليمان القانوني أن يوسع رقعة الدولة الإسلامية في ثلاث قارات ، حتى أصبحت دولة مترامية الأطراف - وكان سبيله في تحقيق هذا الهدف هو سيفه ودرعه! والحقيقة أن المؤرخين ذكروا أن عدد ما افتتحه السلطان سليمان القانوني في حياته من الحصون والقلاع والمدن ما يناهز 360 حصناً! وما علمنا أن من قادة المسلمين قديماً وحديثاً من افتتح مثل هذا العدد! فلقد فتح بلجراد (25 رمضان 926هـ - 31 أغسطس 1521م). وعندما جلس السلطان سليمان القانوني على كرسي الخلافة ، كان أول ما فعله هو إرسال رسالة إلى ملوك أوروبا يُعلمهم بتوليه الخلافة ، ويأمرهم بدفع الجزية المقررة عليهم كما كانوا يفعلون في عهد أبيه السلطان سليم الأول. فما كان من ملك المجر إلا أن قتل رسول السلطان سليمان! فاستشاط السلطان سليمان غضباً وانفعل قائلاً: أيُقتل سفير دولة الإسلام؟! أيهددني ملك المجر؟! فما أصبح الصباح إلا وقد أعدّ السلطان سليمان جيشاً جرار مدعوماً بالسفن الحربية وكان السلطان سليمان بنفسه على رأس هذا الجيش ، وكان قاصداً مدينة بلجراد المنيعة والتي تُعد بوابة أوروبا الوسطى وحصن المسيحية كما كانوا يطلقون عليها! ولكم أن تعلموا أن محمد الفاتح رحمه الله حاول أن يفتح بلجراد ولكنه فشل - بل وأصيب إصابات خطيرة أثناء حصارها. ولما انصرف عنها قال: عسى أن يخرج الله من أحفادي من يفتح الله تلك المدينة على يديه! وبلجراد كانت لها مكانة عظيمة في قلوب النصارى وخصوصاً بعد سقوط القسطنطينية وسمّوها (حصن المسيحية)! ويذكر المؤرخون أن السلطان سليمان عندما كان ولياً للعهد كان يمنّي نفسه بفتح بلجراد التي عجز أجداده (مراد الثاني - محمد الفاتح - بايزيد الثاني) عن فتحها! توجه السلطان سليمان القانوني على رأس جيش عرمرم مكوّن من كتائب الإنكشارية الذين ما أن يسمع النصارى في أوروبا باسمهم فيأخذ الرعب منهم كل مأخذ وترتعد فرائصهم - ومزود بأعتى المدافع والأسلحة يمدهم 3 آلاف جمل محمل بالأسلحة و30 ألف جمل محمل بالمهمات وسفن تحمل الخيول و50 سفينة حربية ومئات من المدافع العملاقة الفتاكة التي كانت فخر الجيوش الإسلامية. وبالفعل يبدأ السلطان سليمان في حصار قلعة بلجراد ، وبعد شهرين ونصف من الحصار تسقط قلعة بلجراد في 2 رمضان 927هـ - ثم دخل السلطان سليمان القانوني المدينة نفسها فاتحاً يوم 26 رمضان 927هـ! وكان

يوماً مشهوداً ، وأمر السلطان سليمان أن يرفع الآذان من القلعة ، ويذكر صاحب كتاب "تاريخ بلجراد الإسلامية" نقلاً عن صاحب يوميات السلطان سليمان إلى بلجراد "بعون الله تعالى تم اليوم فتح قلعة بلغراد. وارتفع صوت المؤذن من القلعة. ونزل خبر سقوط بلجراد على النصارى والبابا في روما كالصاعقة وارتعدت فرائصهم من الرعب! وعلموا وقتها أنهم أمام سلطان من طراز فريد ، وعلموا أنه سيعيد لهم سيرة بايزيد الأول ومحمد الفاتح ـ فوقعت هيبته في قلوب ملوك أوروبا قاطبةً ، وبعث إليه ملك روسيا والبندقية وسائر ملوك أوروبا يهنئونه بالفتح ويعطونه الجزية عن يد وهم صاغرون! ومن يومها سمّى المسلمون بلجراد (دار الجهاد) وكان منها القاعدة الحربية لانطلاق جيوش المسلمين لغزو باقي أوروبا ، واهتم المسلمون بالأوجه الحضارية في بلجراد ، حتى سمّاها المؤرخون (أندلس البلقان) وكانت تنعم بأوجه الحضارة ، بينما كانت سائر بلاد أوروبا لا تعرف شيئاً عن أوجه الحضارة ولا عن تخطيط الشوارع ورصفها وإنارتها ليلاً! مَن مِن المسلمين الآن يعرف شيئاً عن بلجراد الاسلامية؟! فقد ضاعت كما ضاعت الأندلس ، فصدق من سمّاها (أندلس البلقان)! فهي شبيهة الأندلس في حدث إقامتها وحدث نهايتها! وظل السلطان سليمان القانوني في بلجراد حتى عيد الفطر وأقام صلاة العيد في أكبر كنائسها بعد تحويله إلى مسجد ولم ينزل السلطان سليمان من جواده حتى امتطى جواداً آخر مجاهداً في سبيل الله رافعاً كلمة الله خفاقة. وأما فتح جزيرة رودس فكان في (13 صفر 929هـ - 1 يناير 1523م) ، فلقد كانت جزيرة رودس هي الشوكة المنيعة التي في حلق الدولة العثمانية ، والتي تمتاز بمناعة وتحصين نادر جدا ورهيب ، حتى أن سلاطين المسلمين في صدر الدولة العثمانية ما استطاعوا فتحها أبداً كمحمد الفاتح! وكان يسكن جزيرة رودس نصارى الروم الصليبيون المسمون (فرسان القديس يوحنا) الذين طُردوا من بلاد الشام بعد الحملات الصليبية ، وكانوا تحت سلطة البابا في روما ، وكانوا على عصبية شديدة جداً ضد المسلمين ، فكان طوال مكثهم يغيرون على سفن المسلمين المتجهة للحجاز يقتلون رجالهم ويأسرون أطفالهم ويهتكوا عرض نسائهم وينهبوا أموالهم ويقتلون الحجيج ويحرقون سفن المسلمين وكانوا يبغضون المسلمين جداً ، ويستغلون حصونهم في الجزيرة المنيعة ، فكانوا على اطمئنان بأن المسلمين لن يستطيعوا أن يصلوا إليهم. ولقد نهب الصليبيون في رودس أحد السفن الإسلامية التي تُقلّ الحجيج والتجار المسلمين فقتلوهم وحرقوا سفنهم ، وعلم السلطان سليمان القانوني بهذا الخبر ، فاستشاط غضباً لله وأقسم أنه لن يركن للراحة حتى يفتح جزيرة رودس ويطرد الكفار الملاعين منها! وبالفعل أخذ السلطان سليمان استعداده لفتح جزيرة رودس براً وبحراً ، واستغل انشغال ملوك أوروبا بالحروب بينهم وانشغال بابا الفاتيكان بالتصدي لدعوة مارتن لوثر وقيام المذهب البروستانتي ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة مصطفى باشا قوامها 200 ألف جندي مزودين بأعتى المدافع ومعهم 700 سفينة حربية وبدأ الهجوم على أسوار رودس إلا أنهم لم يصيبوا منها شيئا لمناعتها. فغضب السلطان وسافر بنفسه ومعه كتائب من المجاهدين وتولى القيادة بنفسه أمام أسوار جزيرة رودس وحاصرها السلطان 6 أشهر كاملة وضيّق عليها الخناق وكان طوال تلك المدة يواصل إطلاق المدافع ، حتى بلغ عدد ما أطلقوه من المدافع 220 ألف مدفع! والمصادر التاريخية تذكر لنا حالة الطقس أثناء حصار المسلمين لرودس أنها كانت سيئة للغاية ، فالأمطار تتساقط على المجاهدين ، والسماء تبرق والرعد يصمّ صوته الآذان ، ومع ذلك لم يفت ذلك في عضدهم. فاستسلم فرسان القديس يوحنا ، وأمهلهم السلطان مدة 12 يوماً يخرجون من الجزيرة ،

وأعطاهم أماناً على كنائسهم ودينهم كان هذا ديدن السلطان في فتح بلاد النصارى بأوروبا. ودخل السلطان سليمان القانوني جزيرة رودس فاتحاً يوم 13 صفر عام 929هـ الموافق 1 يناير 1523م ، وهنا اهتز عرش النصرانية في روما والعالم النصراني كله. وخرج فرسان القديس يوحنا منكسين رؤوسهم من الذل والهوان متجهين إلى جزيرة مالطا ، فسكنوها وسموا أنفسهم فرسان مالطا. ويحكي لنا المؤرخ عبد الرحيم العباسي الذي شارك في هذه الحملة أن المسلمون وجدوا في الجزيرة أكثر من 3 آلاف أسير في حالة يُرثى لها من التعذيب والقهر والذل ، ويقول بأن المجاهدين العثمانيين بكوا عندما رأوا حال الأسرى! وعندما دخل السلطان سليمان المدينة أمر جنوده بتجهيز الكنيسة لصلاة الجمعة ، فأُزيلت الصور والتماثيل وصُنع منبر خشبي بسيط لهذه الغاية ، وبالفعل أُقيمت صلاة الجمعة وخُطب للسلطان وغص المسجد بالمصلين ولله الحمد والمنة. وهذا عبد الرحيم العباسي عند دخول المسلمين رودس بعد الحصار ، وكان شاهداً هذا الفتح:- يقول – رحمه الله – في كتابه (منح رب البرية في فتح رودس الأبية):- (ثم برز الأمر الشريف بإرسال السَنْجق "لواء الفتح عند العثمانيين" المنصور ، واللواء الذي هو لطيّ الكفار منشور ، ليوضع على سور القلعة ، بشامخ العزة والرفعة ، فذهبوا به على نهاية التعظيم وغاية الإجلال والتكريم ، والعساكر الإسلامية به محدقة ، وعيون المسلمين إليه مُحَدَّقة ، وعيون المشركين مطرقة - وأصوات الطبول والبوقات قد ملأت النواحي والجهات - والأصوات المرتفعة بالتهليل والتكبير - والصلوات والتسليم على سيدنا ومولانا محمد البشير النذير - والسراج المنير - وقلوب أعداء الله من ذلك في أحرّ من نار السعير - ولم يزالوا به سائرين - وقد أصبحوا على أعداء الله ظاهرين - إلى أن وضعوه من الحصن بأعلى مكان - وأعلن المؤذنون للظهر بالآذان - وأجابهم من المسلمين الثقلان - أعنى الجن والبشر حتى الشجر والحجر والمدر - وكانت ساعة مشهودة - وفي مواسم الأيام معدودة - وليس الخبر كالعيان - ولا يقدر على تأدية وصف ذلك بديع بيان - ولما أُدخل السنجق الشريف دخل معه كثيرٌ من العساكر - وجمُ غفير من القبائل والعشائر - واتخذوه من أحب المواطن - واقتسموا منه المساكن - وذهب ما كان يضمره المشركون - فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون - وبرز الأمر الشريف بأخذ أسلحة الكفار - وإلباسهم شعار الذلة والصغار - فسُلِبوها بأسرها - وقُلِّها وكُثرِها - حتى أُخذت منهم السكاكين - وصاروا بعد العز المكين - إلى ذل الخائف المستكين - وانتقل بعد بكاء العيون منهم إلى ضحك الأفواه - وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله - ولم يسع طاغيتهم من ذلك إلا إظهار الطاعة).أ.هـ. ومن عجيب المصادفات أن خلال هذه الأيام كان البابا أندريانوس الثاني يجري مراسم أعياد الميلاد في كنيسة سان بيترو في روما ، فتدحرجت حجارة سقطت من حافة سقف الكنيسة نحو قدميه ، فتشأم البابا ، وقال: (سقطت رودس)! وأما معركة موهاكس الخالدة في (21 من ذي القعدة 932هـ - 29 من أغسطس 1526م) ، فإن في تاريخ المسلمين معارك كانت من أيام الله الخالدة كاليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت وملاذ كرد والزلاقة وشانت يعقوب.....إلخ ، وكانت من تلك الأيام التي أنزل الله فيها النصر على جند الإيمان ، وقذف الرعب في قلوب جند حزب الشيطان ، يوم معركة (موهاكس) والتي هي من أشرس معارك المسلمين ، وأشد قهراً وذلاً في قلوب المشركين إلى يوم الناس هذا! وإنه ليوجد مثّل شعبي في المجر ، يتناوله أهلها إذا حدث أمر سيئ فيقولون: أسوأ من هزيمتنا بموهاكس! وبعض الكتّاب سمّى هذه المعركة بأنها المعركة التي أدخلت الرعب على أوروبا! يا لله! إلى هذا الحد! فما

تفاصيل تلك المعركة الخالدة؟ لقد ظهرت في هذه الفترة قوة مملكة إسبانيا بصورة رهيبة جداً ، يقودها رجل مشهور وذائع الصيت في أوروبا ، وهو شارل الخامس أو شارلكان ، وكان هذا الخبيث النجس حفيد إيزابيلا وفرديناندو الذيْن دخلا غرناطة عام 1492م ، وأسقطا الحكم الإسلامي في الأندلس إلى الأبد ، وقادا حملات محاكم التفتيش ضد المسلمين. وأما شارلكان أو شارل الخامس ، فاستطاع أن يبسط نفوذه على إسبانيا والبرتغال وألمانيا والنمسا وهولندا ، وأسس إمبراطورية ضخمة وقوية جدا ، وكان يحاول أن يفرض سيطرته على المجر لتكون حاجزا له ضد الدولة العثمانية والمسلمين! فانتبه لذلك السلطان سليمان ، وعلم خطورة سيطرته على المجر ، وما يترتب عليها من أوضاع خطيرة للمسلمين في أوروبا الوسطى! وهنا ظهر جانب آخر وخيانة خلدها التاريخ لأحفاد بن سبأ الملاعين ، قادة الدولة الصفوية الرافضية الخبيثة! فلقد اتفقت الدولة الصفوية مع المجر ضد الدولة العثمانية ، وعندما علم السلطان سليمان بهذا الأمر استشاط غضباً ، وبدأ في التحرك لغزو المجر وضمها للدولة العثمانية الإسلامية ، وأراد أن تكون تلك المعركة شرسة وعنيفة ليلقن الأوروبين درساً ، وخصوصاً شارلكان حتى يصرف أبصاره عن المسلمين! وبالفعل خرج السلطان سليمان القانوني من عاصمة الخلافة وحاضرة الدنيا إسلامبول "إسطنبول" في 11 رجب عام 932هـ - 23 إبريل 1526م ، على رأس جيش عرمرم من المجاهدين قوامه 100.000 مقاتل مزودين بـ 300 مدفع عثماني عملاق ، ومعهم 800 سفينة بحرية لتسهيل تحرك المسلمين بين الأنهار! ووصل السلطان إلى بلغراد المسلمة ومكث هناك يستقبل التهاني بعيد الفطر ، ثم تحرك رحمه الله حتى وصل إلى نهر طونة "الدانوب" وأمر بتشييد جسر يعبر عليه المسلمون ، وبالفعل تم تشييد الجسر في مدة زمنية قليلة ، وظل عبور الجيش الإسلامي عليه لمدة 4 أيام ، وهنا أمر السلطان سليمان أمراً عجيباً! وقد أمر السلطان سليمان رحمه الله بهدم الجسر! يقول صاحب كتاب (أخبار الدول وآثار الأول) معلقا على هذا الأمر: "ثم أمر السلطان برفع الجسر فرُفع ، فبقي المسلمون في بلاد الكفار ، وذلك لشهامته وقوة عزيمته ، وقطع أطماع العسكر من الفرار إلى بلادهم" أ.هـ. وفي أثناء مسير السلطان سليمان رحمه الله افتتح عدة قلاع تقع على نهر الدانوب ، ولها أهمية حربية كبيرة ، ثم يواصل السلطان سليمان القانوني تقدمه حتى وصل إلى وادي موهاكس في 20 ذي القعدة عام 932هـ - 28 أغسطس عام 1526م ، وبات السلطان والجنود ليلتهم في الدعاء والتهليل والتكبير ، وتضرع السلطان سليمان إلى الله سبحانه وتعالى وسأله النصر - وكان يمر بين صفوف الجند فيخطب فيهم عن الجهاد وعن فضل الشهادة ، وفي اليوم الثاني ، وبعدما صلى السلطان صلاة الفجر ، دخل بين الجنود وحمّسهم ، وكان مما قال لهم: وكأني برسول الله – صلى الله عليه وسلم - ينظر إليكم الآن! فلم يتمالك أحد من الجند دموعه ، وبكى السلطان ، وأبكى كل من حضر. أما على الجانب الآخر ، عندما علم ملك المجر لايوش "لويس" الثاني بقدوم المسلمين إليه فأعدّ جيشاً جراراً ، واستعان بملوك أوروبا ، فأمدته ألمانيا بـ 38000 من خيرة الفرسان لديها ، فوصل عدد جيوش الكفار إلى 200.000 ألف مقاتل. وبات الكفار ليلتهم في سهل موهاكس ، ومعهم القساوسة والرهبان ، يحثونهم على قتال المسلمين ، وأتوا بالصلبان يرفعونها أمام الجند. وعند الصباح صُفّت الصفوف وبرز الشجعان ، وكان السلطان سليمان قد وضع خطة مع أركان الجيش وهي: أن يصطف جيش المسلمين في ثلاثة صفوف ، وأن يكون السلطان ومن معه من الإنكشارية في الصف الثالث ، ومن ورائهم مدافع المسلمين ، حتى إذا بدأ القتال يتقهقر الصفوف الأولى من المسلمين ،

ويتراجعوا خلف السلطان ومن معه من الإنكشارية ، وبالتالي سيفسح المجال للمَدافع أن تحصد الكافرين حصداً! وبالفعل التزم المسلمون بالخطة ، وظل المسلمون واقفين فى أرض المعركة على الهيئة التي أمرهم بها السلطان وقادة الجيش ، وطال انتظار الفريقين ، حتى بدأ الملك لويس الثاني في الانقضاض على المسلمين وقت العصر. وبدأ القتال ، ووالله كان القتال في شدته وضراوته يشبه معاركنا الحديثة في شدتها وضراوتها مع اختلاف نوع السلاح المستخدم! والتزم المسلمون بالخطة وتراجعوا إلى الوراء ، فسارع الكفار خلفهم وظنّوا أن النصر سيكون حليفهم ، وتقدم الكفار حتى وصلوا إلى المكان الذي يقف فيه السلطان ، وحاولوا قتل السلطان وبالفعل أصابوه في صدره بسهم ، إلا أن السهم لم ينفذ إلى صدره ولله الحمد ، والتحم الفريقان ، وذهب ثلاثة من شجعان المجر إلى السلطان سليمان ، إلا أنه قتلهم ولله الحمد ، وكان مشهوراً بالشجاعة رحمه الله. وهنا أعطى السلطان الأمر بإطلاق المدافع! وإلى الآن يروي المؤرخون الأوروبيون هذه المعركة بسيئ من الذهول ، وعندما يصلون إلى هذه النقطة يصيبهم الدهشة والعجب! يُروى أن مدافع المسلمين أُطلقت بسرعة ومهارة فائقة للغاية ، وكأن المسلمين استعانوا بالجن في هذا الأمر ، ولا عجب أن يكون هذا حال من استعان بالله واستمد قوته من الله! فكان إطلاق المدافع بصورة سريعة جداً وبدقة كبيرة ، مما أصاب الجيش المجري بحالة من الذهول والهلع والرعب ، فولوا أدبارهم ، والمسلمون وراءهم يركبون أذنابهم ويعملون سيوفهم فيهم كما أرادوا. وفرّ المجريون المعروفون ببسالتهم وضراورتهم أمام طلقات المسلمين وسيوفهم ، وفرّ ملكهم لويس الثاني ، بل إنه غرق أثناء فراره ومات! وانتصر المسلمون انتصارا لم يُسمع بمثله في أقطار الدنيا ، وكان نصراً مؤزراً ولله الحمد والمنة. والعجيب أن مدة المعركة كانت ساعة ونصف فقط! وكان عدد قتلى المسلمين لم يتجاوز 150 شهيد ، نحسبهم كذلك عند الله. وعدد ما أسر المسلمون من الكفار 25000 ، والباقي 175000 من الجنود ما بين قتيل وجريح! وبعد هذه المعركة أصبح الجيش المجري في ذمة التاريخ ، وسقطت إمبراطورية المجر التي دامت قرابة 6 قرون (سنة 637) ، وانتفضت النصرانية من أقصاها إلى أقصاها. وكانت هذه المعركة هي أسوأ هزيمة للنصارى في أوروبا قاطبةً بعد سقوط القسطنطينية وهزيمتهم في وبوليس أيام بايزيد الأول. وصلى السلطان صلاة المغرب مع الجنود في أرض المعركة ، ثم واصل مسيره إلى عاصمة المجر وهي مدينة "بودا" فدخلها بدون أي مقاومة تذكر في 3 من ذي الحجة 932هـ - 10 من سبتمبر 1526م ، ومكث فيها 13 يوماً ، واستقبل التهاني بعيد الأضحى المبارك في سراي الملك هناك ، فكان العيد عيدين ، عيد فتح المجر وعيد الأضحى ، فلله الحمد والمنة. وبعد هذه المعركة تبدلت حسابات أوروبا ، وتغيرت خريطة المنطقة ، وما اجترأ أحد من نصارى أوروبا أن يقوم بأي عمل ضد المسلمين بعد هذه المعركة الفاصلة في تاريخ أوروبا. ولقد جاهد السلطان سليمان ضد الروافض والدولة الصفوية ، وقاد ثلاث حملات حربية ضخمة ضدهم. أولئك المجرمون الذين ارتكبوا المجازر في أهل السنة في فارس والعراق! ويوجد مثل دارج في أوروبا أيامها: (لولا الشاه لوصل العثمانيون إلى الراين. بمعنى لولا تعاون الروافض في الدولة الصفوية مع الصليبين النصارى بأوروبا ، لاستطاع المسلمون العثمانيون أن يصلوا إلى نهر الراين في ألمانيا ، ولاستطاع المسلمون اجتياح أوروبا الغربية كلها ، ولربما أعادوا الأندلس مرة أخرى! وقد أفتى علماء الدولة العثمانية بضرورة قتال الروافض ، وبالفعل خرج السلطان سليمان القانوني على رأس حملة عسكرية من المجاهدين لقتال الروافض من الدولة

الصفوية. وكان أول الحملات عام 941هـ ، واستطاع ان يدخل العراق فاتحاً ، ودخل بغداد وطرد منها الروافض ، وأسقط مذهبهم الخبيث ، ونفى علماؤهم وطهر بغداد من آثارهم ، واتجه إلى قبر الإمام أبي حنيفة ، فغضب علي ما رآه هناك من النجاسات ، فأمر بتطهير التربة وبنى فوقها قبة! ثم كانت حملته الثانية عام 955هـ ، والتي استطاع أن يهزم الروافض ، ودخل عاصمة ملكهم "تبريز" ، وفرّ شاه طاهمسب من أمامه وتوغل في بلاد أذربيجان ، فلم يستطع السلطان سليمان أن يتعقبه لوعورة الطريق ولتساقط الثلج واكتفى بدخول عاصمة الدولة الصفوية. وكانت الحملة الثالثة والأخيرة عام 962هـ ، واستطاع أن يخلص أذربيجان وإقليم القفقاس "القوقاز" وشرق الأناضول من الروافض نهائياً ، وبهذه الحملات استطاع أن يدرأ عن المسلمين خطورة النفوذ الشيعي تحت زعامة الدولة الصفوية الرافضية النجسة. ولقد دخل المسلمون إقليم أذربيجان وخلصوه من الروافض. إنه لولا أن منّ الله علينا نحن المسلمين بهذا السلطان الجليل لتغلغل المد الشيعي في الدولة العثمانية بأكملها ، ولدخل الروافض مصر والشام مرة أخرى. وكذلك معركة "بروزة" البحرية الخالدة في (4 جمادى الأولى 945هـ - 28 سبتمبر 1538م) فاتحة خير على المسلمين! ونحن قليلا ما نسمع عن المعارك البحرية الإسلامية ، ولا نتذكر إلا معركة ذات الصواري أو معارك المسلمين في العصور الأولى! ولقد أولى المسلمين عناية فائقة بصناعة السفن وبناء أسطول إسلامي قوي لصد هجمات النصارى في البحر المتوسط ، ولصد هجمات الفايكنج أو المجوس كما كان يسميهم المسلمون في الأندلس. وكانت الدولة العثمانية تهتم جدا ببناء قوة بحرية عسكرية ضخمة لصد هجمات النصارى في البحر المتوسط. فاهتم السلطان سليمان القانوني بالبحرية الإسلامية ، وأولى قيادتها لرجل من المجاهدين ، فهو بذلك أفضل من جاهد في البحر من المسلمين في التاريخ الإسلامي! تُرى هل يعلم المسلمون عنه شيئا؟! هل سمع المسلمون عن المجاهد البطل المسلم (خير الدين بربروس)؟! نعم هو خير الدين بربروس ، وأطلق عليه الأوروبيون لقب (باربروسا) أي "ذو اللحية الحمراء" ، وكان هذا البطل وبالا على النصارى في العالم كله قاطبةً ، حتى إن سكان السواحل الأوروبية في إيطاليا أو إسبانيا عندما يريدون إسكات أطفالهم يقولون: اسكت وإلا جئنا لك ببربروسا خير الدين! كان ذعرا للنصارى على السواحل المطلة على البحر المتوسط . ويصفه الأوروبيون بالقرصان! وُلد خير الدين بربروس رحمه الله في جزيرة لسبوس باليونان المسلمة عام 857هـ ، ونشأ خير الدين على البحرية وشارك مع أخيه في قيادة سفن المجاهدين المتطوعين لصد هجمات الأسبان عن الجزائر والمغرب وإنقاذ مسلمي الأندلس من الهلاك. وذاع صيت "عُرّوج" أخو خير الدين وكان مصدر قلق للنصارى في البحر المتوسط ولنصارى جزيرة رودس - وفي أحد المعارك قُتل "عُرّوج" في أحد معاركه ضد الأسبان الصليبين عام 924هـ ، عن عمر يناهز الخمسين سنة! واحتل الأسبان مدينة تلمسان بالجزائر ، وتولى خير الدين رحمه الله قيادة أسطول المجاهدين واستبشر المسلمون به خيراً. وقاد حملات حربية رائعة ضد النصارى على السواحل الأسبانية والإيطالية ، وحرر مدينة تونس وتلمسان وغيرها من مدن السواحل الإسلامية التي احتلها النصارى! وفي عام 925هـ استطاع خير الدين بربروس أن ينتقم لأخيه من الأسبان انتقاماً بالغاً دمّر فيه سفن النصارى ، وأسر منهم عددا أمام سواحل الجزائر ، وفي عام 935هـ استطاع خير الدين بربروس أن يدمّر معقل الصخرة بالجزائر وحاميته الأسبانية ، وفي عام 936هـ انتصر خير الدين على الأسبان أمام جزر الباليثار ، وفي عام 937هـ استطاع أن يهزم النصارى بقيادة

قائدهم المغوار أندريا دوريا هزيمة ساحقة في شرشال. وكان خير الدين رحمه الله كلما خرج من معركة دخل معركة أخرى مع النصارى ، وفي إحدى معاركه لصد هجمات الأسبان على الجزائر قال: (إن من كان يؤمن بالله ورسوله ، ويريد الجنة في الآخرة ، فعليه أن ينضم إلى جيشه بكل سرعة ، وذلك لمهاجمة وهران والمرسى الكبير). وأصبح خير الدين بربروس مصدر رعب وهلع للنصارى على السواحل ، حتى إن خير الدين رحمه الله أخذ 36 سفينة فقط ، واتجه بها إلى الساحل الغربي للأندلس ، ولم تستطع الأساطيل الأسبانية أو أي أسطول نصراني آخر أن يتدخل خوفا من خير الدين رحمه الله. واستطاع خير الدين بربروس أن ينقذ 70.000 من مسلمي الأندلس الذين نزل عليهم جام غضب شارلكان بعد خسائره أمام خير الدين بربروس وسليمان القانوني في موهاكس! وكان خير الدين يكمن في السواحل الغربية للسفن القادمة من الأمريكتين محملة بالذهب والأموال ، فكان يتصدى لها ويأخذ كل ما فيها من ذهب وأموال ويعطيها للمسلمين حتى تقوى بها شوكتهم ضد الأسبان. وهنا جنّ جنون النصارى ، وحتى البابا بولس الثالث في روما! وسمّوا أعمال خير الدين بربروس بالقرصنة. وللأسف الشديد مازالت الكتابات عن خير الدين بربروس تصفه بالقرصان خير الدين ، حتى المؤلفين من العرب والمسلمين مازالوا يسمّون خير الدين بالقرصان ولا حول ولا قوة الا بالله. وهنا انتهز السلطان سليمان الفرصة وكتب لخير الدين يستدعيه بصفته خليفة المسلمين. فاتجهت أنظار الدولة العثمانية إلى جهاد هذا البطل ، وأرادت أن تكافئه وأن تعينه رسمياً ضمن أسطولها البحري ، ليُصبغ جهاده ضد النصارى صبغة رسمية وشرعية ، وحتى يعلم الجميع أن الدولة العثمانية هي حامية الدول الإسلامية في أي مكان ، حتى ولو لم تكن تتبع السيادة العثمانية. وأكبر دليل على هذا ما فعله السلطان سليمان من إرسال أسطول بحري بقيادة سليمان باشا إلى الهند لصد هجمات البرتغاليين ، وأرسل كذلك أسطوله إلى البحر الأحمر وعدن لصد هجمات البرتغاليين الذين زاد خطرهم جداً. وفي عام 939هـ - 1533م عَيّن السلطان سليمان القانوني المجاهد البطل خير الدين بربروس أميرا للبحر أو قبودان البحر بمعنى أنه أصبح منذ الآن قائد عام الأسطول الإسلامي. واستقبل السلطان سليمان القانوني في إسطانبول خير الدين بروبرس استقبال الملوك وكان فرحاً جداً بقدومه. نزل هذا الخبر على النصارى في أوروبا كالصاعقة وذُهل أمراء أوروبا وجُن جنونهم ولو رأيتهم كأنهم سكارى وما هم بسكارى! وهنا قام خير الدين بربروس بأعباء المنصب الجديد كوزير البحرية وقائد عام الأسطول الإسلامي العثماني ، فظلّ في جهاده في البحر المتوسط حتى فرض سيطرة المسلمين تماماً من أول إسبانيا إلى البلقان ، ولم يكن في البحر المتوسط كله أي قوة بحرية تضاهي قوة المسلمين ، إلا قوة هذا القائد النصراني الصليبي الخبيث الشهير جدا فى أوروبا ألا وهو (أندريا دوريا) الذي ذاق طعم الذل على يدي خير الدين رحمه الله. وهنا انتفض البابا بولس الثالث في روما وعلم خطورة هذا البطل المجاهد. وأصبح خطراً يهدد النصارى في البحر كما أن السلطان سليمان صار خطراً يهدد النصارى على البر. فاجتمع البابا بولس الثالث مع ملوك وأمراء أوروبا ، وأعلن حربا صليبية جديدة. ولكن هذه المرة الحرب الصليبية لن تكون على البر ضد السلطان سليمان ، لأنهم بعد خسارتهم في موهاكس ما تجرؤوا أن يعلنوا الحرب على المسلمين لحين من الدهر. إنما الحرب الصليبية ضد قوة المسلمين البحرية: ضد خير الدين بربروس ، ورُفع الصليب واجتمع الأمراء ووافقوا على الحرب. ففي عام 945هـ اجتمع على المسلمين في البحر أكثر من 600 سفينة حربية للنصارى من كافة دول أوروبا ومدنها

(أسبانيا - النمسا - البندقية - جّنوة - فرسان القديس يوحنّا) عليها 60.000 صليبي ، ويقود الأسطول القائد النجس الصليبي الملعون أندريا دوريا. وكان عدد أسطول المسلمين 122 سفينة فقط عليها 20.000 ألف مسلم! يقودهم خير الدين بربروس رحمه الله ، وفي يوم 4 جمادى الأولى 945هـ - 28 سبتمبر 1538، وأمام سواحل مدينة "بروزة" أو "بريفيزا" غربي اليونان - دارت أعنف معارك المسلمين البحرية. هذه المعركة إلى الآن يتذكرها النصارى في أوروبا بالألم والحسرة والضيق. والتقى الفريقان ، ووضع خير الدين بربروس خطة حربية رائعة كالعادة ، وبدأت المعركة وحمي الوطيس واحترقت السفن وارتفع دخان المدافع إلى عنان السماء. ووضع خير الدين بربروس أسطوله على شكل هلال ، وعيَّن على رأس جناحه الأيمن القائد المجاهد صالح رئيس. وعلى رأس جناحه الأيسر سيدي علي رئيس. وقاد خير الدين الجناح الأيسر بنفسه ، وأمر القائد الفذ المجاهد طورغود بأن يقود احتياطي الأسطول ويبقى في الخلف. واستعمل خير الدين بربروس عنصر المباغتة ، ولم يكن أسطول الصليبيين مستعدّا ؛ مما أدى إلى اختلال نظامه ؛ فما لبث أن تفرق ، وهرب قائده أندريا دوريا نجاة بحياته. ولم تستمر المعركة أكثر من خمس ساعات تمكَّن في نهايتها "خير الدين" من حسم المعركة لصالحه ، وصارت العزة والسيادة للعثمانيين في البحر المتوسط. وانتهت المعركة: معركة بروزة "بريفيزا" البحرية بالانتصار الساحق للمسلمين وهزيمة مخزية للمشركين فلله الحمد والمنة. واستولى المسلمون على أكثر من 36 سفينة وأسروا حوالى 3000 أسير ، وغرق واحترق للكفار 123 سفينة! نزل خبر انتصار المسلمين على النصارى في روما وأوروبا كالصاعقة على مسامعهم ، فأُخرسوا من هول الخبر! وبهذا الانتصار فرضت الدولة العثمانية قوتها وسيطرتها على كل البحر المتوسط ، ولم ينازعها أحد ولله الحمد والمنة. ولقد استطاع السلطان سليمان القانوني في خلال 48 سنة أن يبسط نفوذ المسلمين من بغداد شرقاً إلى فيينا غرباً ، ومن موسكو شمالاً إلى بلاد إفريقيا جنوباً ، وكانت ملوك أوروبا وأمراؤها تدفع الجزية عن يد وهم صاغرون. وواصل السلطان سليمان رحمه الله جهاده ضد النصارى ، حتى وصلت جيوش المسلمين إلى أسوار فيينا مرتين ، ولم يُقدّر الله الفتح ، إما لتساقط الثلوج وطوال مدة الحصار ، وإما لتعاون الرافضة واستغلال توغل المسلمين في غرب أوروبا فيعبثون في مناطق الأناضول والقوقاز ويحاولون نشر المذهب الرافضي الخبيث. ولكن هيهات هيهات فقد كان السلطان سليمان رحمه الله سداً منيعاً ضد أطماع الروافض في الشام ومصر والأناضول وضد أطماع الصليبيين في القسطنطينية وشرق أوروبا. ووصلت الدولة في عهده أقصى اتساع ، لها ولم تصل حركة الفتوحات الإسلامية أقصى من ذلك ، ووصلت من هيبة السلطان سليمان أن بعث إليه ملك فرنسا يستجديه ويرجوه أن يساعده ضد هجمات شاركان على موانىء فرنسا ، فأجابه السلطان سليمان وبعث إليه خير الدين بربروس في سفن حربية حتى استعاد له الميناء المحتل! وكان السلطان سليمان مشهوراً ببناء المدارس ، وكذلك رمّم السلطان سليمان رحمه الله سور القدس القديم الموجود إلى الآن ، وهو صاحب العيْن الموجودة بعرفة لخدمة الحجيج ، وكانت له نفقات على أهل الحرمين وكانت مادة حياة أهل الحرمين من تلك الأموال فجزاه الله خيراً ، وبنى بمكة أربع مدارس لتعليم علوم الدين ، وكذلك بنى في دمشق المدرسة والتكيّة السليمانية ومازالت موجودة تعرف باسم (التكية السليمانية). وأمر بتشييد القلاع في طريق الحج لحماية المسلمين. واهتمامه بالعمران والجمال كان السبب الذي جعل إسطنبول أو الأستانة عاصمة الخلافة وحاضرة الدنيا ولم يكن لها في الدنيا نظير.

وأنقل وصف إسطنبول في عهد السلطان سليمان من وصف عبد الرحيم العباسيّ الذي شاهد السلطان سليمان وعاش في إسطنبول - يقول رحمه الله: (ذات المحل الأرفع والمقام الأسمى - مدينة العلم وقرارة الحلم - ومحط الرجال - ومنتهى الترحال - وكعبة الكرم - وقبلة النِّعم - ومعدن الفخار - وموطن السنن والآثار - ومنبع الإقبال - ومربع الآمال - ومنتهى المطالب - ومشتهى القاصد والطالب - مَظهر شموس السيادة - ومقر السعادة - آياتُ محاسنها لم تزل بألسن السُّمار مملوءة - وعرائس بدائعها لم تبرح على أعين النظار مجلُوّة - أجلّ ما فُتح من البلاد - وأعظم ما استخلصته يد الصلاح من الفساد - كم خَطبها عظيمٌ من ملوك الزمان وأمهَرَها مواضي المشرفية وعوالي المُرّان - وهي أشد ما يكون إباء - وأوفى ما يتصور منعة واستعصاء - إلى أن قصدها من ادُّخر له ذلك الفتح - في خبر طويل الشرح - وهو المرحوم السعيد الشهيد السلطان محمد خان بن مراد خان بن عثمان - بوّأهُ الله غُرف الجنان - بمزيد من العفو والغفران - فذلت له صِعابُها - وخضعت لعزته رقابها - ولان جماحها - وتسنّى انفتاحها - وأُعلن فيها بالتهليل والتكبير - وصُرّح بالصلاة على البشير النذير - واعتدلت بعد انحنائها قامات المنائر - وارتفعت بعد خفضها درجات المنابر - وأُخرست النواقيس - ونُطق بالتأذين على رغم أنف إبليس - وخُطّت المساجد والمدارس - ومعّرت بأوقات الخيرات بعد ما كانت دوارس - ونَطَقَت خطباء الإسلام - فسكتت القساوسة اللئام - ونَصَب الدين المحمدي بها خيامه - ورفع الشرع الأحمدي على قُللها أعلامه - وبُدلت من الإنجيل بالقرآن - وعُوّضت من الرهبان بعلماء الإيمان - فأصبحت شموس الدين بأفاقها مشرقة - وسحب اليقين بروضاتها مغدقة. ولعمري إنها لمدينة العمران - والمشار إليها دون سائر البلدان - إذ هي تخت الملك الأعظم - ومقر المجد المعظم وموفد الوفود - ومنبع الكرم والجود - وبها العمارات العظيمة - ذوات الصدقات الجسيمة - والمبرّات العميمة - والقصور المنيفة - والمتنزهات اللطيفة - والرياض النضرة - والمروج الخضرة - فهي نزهة النفوس - ومسرّة العبوس - وبُهجة الخواطر - وقُرّة النواظر - وبها من الآثار العجيبة - والأبنية الغريبة - ما تذهل له الألباب - ويستولي عليها منه العجب العجاب - وبها من الأئمة الأعلام - وقضاة الإسلام - ما يتحمل به الزمان - ويفتخر بمجده العصر والأوان - إذ كلٌ منهم علّامة العصر - وفرد الدهر - وعالم الوقت - والمبرّأ من الشّين والمقْت - وبحر العلوم - ومالك أزمّة المنطوق والمفهوم - ونُعمان (أبو حنيفة) زمانه - وأبو يوسف (أبو يوسف القاضي) أوانه - وكنز الطالبين - وهداية الراغبين - ومختار الحق - واختيار الغرب والشرق - ومجمع الفضائل - ونُقاية الأماثل - وصدر الشريعة - ذو الفنون البديعة - دام فخرهم - وسما قدرهم - ولا برح نير سُعدهم مشرقا في الأكوان - والانتفاع ببركتهم - وبركة علومهم دائما مدى الأزمان - فكل فرد منهم نيّر قطرها الأعظم - ورئيس مجدها المكرم - تفتخر به على سائر الأمصار - وتسمو به عصره على غابر الأعصار - فهي الآن مصر الدنيا - والمنفردة بالمرتبة العليا - جعلها الله دار الإسلام والإيمان - ومحل الأمنية والأمان - ومقر الدولة والسلطان) أ.هـ. وفي يوم من الأيام ظهر فن الرقص في فرنسا في زمن السلطان سليمان القانوني - وكانت فرنسا حليفة للدولة العثمانية وكان المسلمون يطلقون عليها (ولاية فرنسا) وكأنها تابعة للمسلمين. انزعج السلطان سليمان القانوني جداً من ظهور هذا المجون والفسق - فتدخل السلطان سليمان في شؤون فرنسا الداخلية كما يُقال - وأوقف هذا المجون خشية أن ينتشر في بلاد المسلمين! والآن أسرد ما قاله رئيس اللجنة الأوربية عام 1923م عند سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا - وتكريم أول مسلمة في مسابقة ملكة جمال

العالم والذي روّج لها العلمانيون في تركيا - وكانت الفتاة المتقدمة للمسابقة هي "كريمان خالص". يقول رئيس اللجنة الأوربية فرحاً بهذه المناسبة - وانظروا إلى الحقد الدفين: "أيها السادة ، أعضاء اللجنة ، إن أوروبا كلها تحتفل اليوم بانتصار النصرانية ، لقد انتهى الإسلام الذي ظل يسيطر على العالم منذ 1400م ، إن "كريمان خالص" ملكة جمال تركيا تمثل أمامنا المرأة المسلمة. ها هي "كريمان خالص" حفيدة المرأة المسلمة المحافظة تخرج الآن أمامنا "بالمايوه" ، ولا بد لنا من الاعتراف بأن هذه الفتاة هي تاج انتصارنا. ذات يوم من أيام التاريخ انزعج السلطان العثماني "سليمان القانوني" من فن الرقص الذي ظهر في فرنسا ، عندما جاورت الدولة العثمانية حدود فرنسا ، فتدخل لإيقافه خشية أن يسري في بلاده ، ها هي حفيدة السلطان المسلم ، تقف بيننا ، ولا ترتدي غير "المايوه" ، وتطلب منا أن نُعجب بها ، ونحن نعلن لها بالتالي: إننا أُعجبنا بها مع كل تمنياتنا بأن يكون مستقبل الفتيات المسلمات يسير حسب ما نريد! فلتُرفع الأقداح تكريماً لانتصار أوربا".أهـ. ونقلا عن مقال لأميمة بنت أحمد الجلاهمي في موقع إسلام واي ، وهذا مختصر رسالة السلطان سليمان القانوني إلى قاضي بروصة بعد انتصار المسلمين في رودس: "منذ بداية تسلمنا للسلطة ونحن سائرون على إعلاء ونصرة هذا الدين بتوفيق من الله تعالى - وجعل همنا واهتمامنا رفع أعلام هذا الدين لقلع وقمع آثار الكفر والظالمين - وسيرا على هذه العادة الحسنة - والسنة المرضية - صدرت أوامرنا بضرورة استخلاص قلعة رودس من أيدي الكفرة - وقد أعددنا أسباب القتال - والرجال الأبطال - والسفن والمراكب - وقد أرسلنا وزيرنا مصطفى باشا لإنجاز هذه الغاية - كما شاركنا شخصيا في هذه الحملة من القسطنطينية المحروسة إلى إسكودار. وكان أهالي رودس يقطعون طريق المسافرين بالبحر - ويسفكون دماء التجار - وذلك منذ أن سكنوا الجزيرة وحتى هذا الوقت - ورودس جزيرة في غاية المتانة - وأسوارها طويلة وعريضة - وخندقها عميق. وفي اليوم الثالث من ذي القعدة سنة 928هـ تم إطلاق قذائف كالمطر وهجمت العساكر المنصورة على الأسوار. ولم يتصور أن يستسلم أحد من الكفار - ولكن بتوفيق من الله تعالى زادت عساكرنا من تخريب قلاعهم يوماً بعد يوم. ثم قامت عساكر الإسلام المظفرة بتطهير قلعة رودس المنيفة من دنس أهل الكفر ، وتحولت معابد الأصنام والأوثان إلى مساجد لأهل الإيمان - وأضحت معابر بيت الله الحرم آمنة من عبث الكفرة الفجرة - وبالإضافة إلى القلعة المزبورة فقد فتحت أيضا كل من إستانكوي - وتخته لو - وبوردوم - وغيرها من القلاع التي بلغ مجموعها 11قلعة - وشملت كذلك كافة الجزر والأراضي وتوابعها - وأضيفت إلى الممالك المحروسة - والحمد لله الذى يسر لي ما لم ييسر لغيري". أهـ. وإن كنت أنسى فلستُ أنسى كلمة السلطان سليمان القانوني – رحمه الله تعالى – عندما منّ الله تعالى عليه بفتح الأسوار الأوربية ، فقال: الآن طاب الموت! تلك الكلمة التي أجعلها عنواناً لهذه القصيدة في تأبين السلطان ، وردّ شيء من جميله علينا! وهو الذي أوصى بأن يوضع معه في قبره صندوق صغير. فأخذ العلماء يسألون: ماذا بداخل الصندوق؟ فإذا به القوانين التي استفتى فيها كبار العلماء والفقهاء وكلها مستقاة من الشريعة الإسلامية. فعندئذٍ بكى مفتي الدولة العثمانية آنذاك أبو السعود الأفندي رحمه الله وقال: لقد أعذرت إلى ربك أيها السلطان وبقيت التبعة والمسؤولية علينا! ولقد أوصى السلطان بأن يخرجوا يده من النعش ليراها الناس ، حتى يوقنوا ويدركوا أن الإنسان لا يأخذ من هذه الدنيا شيئا لآخرته ، سوى عمله الصالح وتقواه لرب العالمين! أيها السلطان المحترم ، لقد أنشدت هذه القصيدة بعد تتبعي آثارك وسيرتك! وبعد

أن استيقنت أنك برئ من كل الدعاوى الباطلة ها أنذا أبين لك حقيقة الموت والدنيا معا! وأعلم أنك إلى دار الحق سبقتنا ، ونحن إن شاء الله بك لاحقون! وكم كنت أتمنى أن أعيش في زمانك أيها السلطان العظيم! إذن لوجدتُ منك ما تقر به عيني ، ولوجدت مني ما تقر به عينك! وأشهد الله أننا على الخير الذي كنت عليه سائرون ، نرجو رحمة ربنا ونخشى عذابه! يقول الله في كتابه: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ). ويقول: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ). ويقول: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا). ويقول: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ). هذا ، ويقول الأستاذ عبد الملك القاسم في كتابه: (الدنيا ظل زائل) ما نصه: (إن رب الأرباب ومسبب الأسباب جعل الآخرة: دار الثواب والعقاب ، والدنيا: دار التحمل والاضطراب والتثمر والاكتساب ، وليس التثمر في الدنيا مقصورًا على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها. قال يحيى بن معاذ: يا ابن آدم طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له بها ، والدنيا قد كفيتها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطلب منك تنالها ، فاعقل شأنك).هـ. نقول ذلك عن السلطان وقومه العثمانيين إبراءً للذمة وانتصاراً للحق وأهله ، في زمان ضاعت فيه معالم الحق! وفي فترة من فترات التاريخ عصيبة ، قل خيرها وكثر بلاؤها وشرّها! في عهد يخون فيه الأمين ويؤتمن الخائن ، ويصدّق فيه الكاذب ويكذب فيه الصادق! نقول ذلك لأن كثيراً من الناس وعلى رأسهم المغرضون من المستشرقين الخبثاء والمؤرخين الجهلاء ، لا يكادون يذكرون للباشا العثماني وللسلطان العثماني إلا الضرائب التي فرضاها على الشعب والظلم الذي باشراه على بعض الناس! أما المعارك التي انتصرتْ لمجد الإسلام ، وأما المحافظة على خلافة الإسلام على ما كان يَعتورُها من طوام ، أما الهيبة والعزة التي اتصفتْ بها ديارُ الإسلام في عهد العثمانيين الأبطال الأشاوس ، أما المواقف النبيلة في الداخل والخارج تلك التي وقفها سلاطين آل عثمان! فلا يكاد الكثير من المؤرخين ولا المستشرقين يعترف بشي منه ويدونه في كتاباته أو محاضراته! والحمد لله أنْ كفانا الله بالدكتور المؤرّخ (علي الصلابي) وغيره ممن دافعوا عن العثمانيين في عصرنا الحديث! وقصيدتي هذه في الدفاع عنهم أسطرها لله أولاً وآخراً ، ثم للتاريخ في الانتصار للسلطان العظيم سليمان القانوني ، ولا أزكّيه على الله! ولو كانت في زمان المعلقات لكانت معلقة! ولو كانت في زمان شوقي وحافظ لتبوأتْ مكانها بين أشعار العرب في العصر الحديث! ولكن هذا قدري وهذا نصيبي! لقد كان شوقي يكتب القصيدة ولم يجف عنها حبرها ولم يُعد قراءتها على حد تعبير الدكتور أحمد الحوفي ، حتى يلقيها شوقي على الجماهير الغفيرة ، في قرطاج أو دمشق أو بغداد أو في بيروت أو في طرابلس! إذ تحمله طائرة خاصة إلى هناك! في زمان يعلم الله هل كان عدد الطائرات الخاصة يتجاوز أصابع اليدين أم لا! وذلك من فضل الله على شوقي ولا شك! ونشهد أن الرجل شاعر متمكن عبقري وفي بعض أشعاره جودة وحمية وغيرة على الإسلام وخاصة العثمانيين وكأن الرجل ابن من أبناء أحد السلاطين العثمانيين! إن كل شاعر له ظروف تصنعه بقدر من الله وله أدوات وأسباب توجه شعره نحو

وجهة هو موليها! وأعتذرُ عن طول المقدمة! ولنطالعْ الملحمة السليمانية القانونية العثمانية في تأبين السلطان سليمان القانوني – رحمه الله رحمة واسعة وتجاوز عن سيئاته وذنوبه -!)

يســـمو القـــريضُ مَقامـــاتٍ وتبيانـــا ... ويســـتنيفُ إذا أطـــرى (سُـــليمانا)

ويَســـتلذ برنّـــاتٍ ودَندنـــةٍ ... بهـــا يُرَجّـــعُ أنغامـــاً وألحانـــا

وللقـــوافي أغاريـــدٌ تُزخرفهـــا ... حتـــى يكـــون نســـيجُ الشـــعر مُزدانـــا

ورقـــة الـــنص تســـبي روحَ قارئهـــا ... حتـــى يَبيـــتَ - بمـــا يتلـــوهُ - هيمانـــا

فكـــم يطيـــبُ لـــه ذكـــرُ الـــذين ســـمَوْا ... فـــي كـــل مَكرُمـــةٍ مـــن (أل عثمانـــا)!

حـــازوا مـــن المجـــد بـــين النـــاس ذِروتـــهُ ... وسَـــطروا - فـــي مراقـــي - العـــز ديوانـــا

وأحـــرزوا النصـــر فـــي ســـاحات خندمـــةٍ ... وأشـــعلوا - فـــي ديـــار الكفـــر - نيرانـــا

وألزمـــوا الظلـــم حـــداً لا يُجـــاوزهُ ... فلـــم يـــر الخلـــقُ - مـــن أهليـــهِ - عُـــدوانا

هـــذا (سُـــليمانُ) مَـــن فـــي الخيـــر ضـــارعَهُ ... مِـــن جيلـــه الفـــذ إمـــا فـــاق أقرانـــا؟

مُجاهـــدٌ لـــم تكـــن تعيـــا عزيمتـــهُ ... وكـــان - فـــي حـــرب أهـــل الشـــرك - دُهقانـــا

وللمـــدافع - فـــي خميســـه - حِصَـــصٌ ... مـــن القـــذائف لا ، لـــم تُبـــق بُلـــدانا

والجنـــدُ كـــم فتحـــوا بـــالحرب مـــن دولٍ! ... وكـــم أزالـــوا - عـــن الشـــعوب – طغيانـــا!

وأصـــبح النـــاس أحـــراراً يُســـامرُهم ... طيـــفُ اختيـــار مليـــك النـــاس ديّانـــا

أو البقـــاء علـــى مـــا دان أغلـــبهم ... حتـــى وجـــدنا بـــدار الســـلم أديانـــا

وزال قيـــدٌ وسَـــجّانٌ ومَلهبـــة ... وإن - فـــي الفـــتح للآنـــام - فرقانـــا

إذ لـــيس يُكْـــرهُ هـــذا الـــدينُ مـــن أحـــدٍ ... علـــى اتبـــاع هُـــدىً – بـــالطوع - مـــا كانـــا!

والقائـــد الفـــذ قـــد طابـــت قيادتـــه ... والجنـــدُ بـــاتوا – علـــى التحقيـــق - عُقبانـــا

ليـــث هصـــورٌ ، لـــه فـــي الحـــرب صـــولته ... ويُمعـــنُ – الـــدهرَ – فـــي التخطـــيط إمعانـــا

وعـــاشَ ينصـــحُ فـــي ســـر وفـــي علـــن ... مـــا أعـــذبَ النصـــحَ إســـراراً وإعلانـــا!

ومـــا اســـتبد بـــرأي فـــي ولايتـــهِ ... بـــل استشـــار غطاريفـــاً وإخوانـــا

وقـــاد دولتـــه بالشـــرع مقتفيـــاً ... آثـــار مَـــن رحلـــوا ، حبـــاً وإيمانـــا

وســـاس بالرشـــد والتقـــوى رعيتـــهُ ... ولـــم يكـــن مســـتريب القلـــب خوانـــا

وكـــان يبـــدأ باســـم الله خطبتـــه ... مـــرردداً: إن هـــذا مـــن (ســـليمانا!)

ومـــا تعنـــتَ فـــي الأحكـــام يُصـــدرها ... بـــل كـــان يَنصـــب للأحكـــام ميزانـــا

ومـــا اســـتكان لأعـــداءٍ لقـــوّتهم ... بـــل أثخـــن الهمـــجَ البـــاغين إثخانـــا

ولقـــن الكفـــر درســـاً لا يُبارحـــهُ ... إلا وقـــد أذعنـــتْ قـــواهُ إذعانـــا

هـــذا (ســـليمان) ، والبنـــاءُ يعرفـــهُ ... فكـــم أقـــام بـــدار الســـلم بُنيانـــا!

وعَمّـــر الأرضَ أعلاهـــا وأوســـطها ... وزاد مُقفرَهـــا عِـــزاً وعِمرانـــا

فكـــم مـــدارسَ فـــي الأصـــقاع شـــيّدها! ... وكـــم مبـــان غـــزتْ دُوراً وبُلـــدانا!

وكـــم مســـاجدَ فـــي الـــديار أنشـــأها! ... حتـــى تُميّـــز – بالإســـلام - أوطانـــا

بنـــى الحضـــاراتِ ، والتـــاريخ مجّـــدهُ ... وأوســـعَ الفـــذ تدشـــيناً وشُـــكرانا

وكـــم بيـــوتٍ لقـــوم مُعـــدِمين بنـــى! ... فأصـــبحوا فـــي (بيـــوت الوقـــف) سُـــكانا

ســـل الصـــهاريجَ مَـــن أعلـــى قوائمهـــا؟ ... ومَـــن أعـــدّ خِـــلاف البئـــر بســـتانا؟

ســـل القنـــاطرَ مَـــن بالمـــاء أترعهـــا؟ ... ومَـــن أقـــام لهـــا سَـــداً وشـــطآنا؟

(سِـنانُ باشـا) لـــه فـــي الصُـنع هندســـة ... تلـــك التـــي بقيـــتْ فـــي الأرض أزمانـــا

مُنمنمـــاتٌ لهـــا ســـبكٌ يُزخرفُهـــا ... بـــات الجمـــالُ بهـــا فـــي الـــدار مُزدانـــا

هـــذا (ســـليمان) صـــاغ الشـــعرَ مُـــرتجلاً ... حـــاكى امـــرؤ القـــيس والأعشـــى وحَسّـــانا!

وضـــمّن الشـــعرَ آيـــاتٍ يُرتلهـــا ... والشـــعرُ يســـمو إذا مـــا ضـــمّ قرآنـــا

مَـــن عاصـــروهُ روَوْا أحلـــى قصـــائده ... شـــم القـــوافي ، ســـمتْ معنـــىً وأوزانـــا

وجـــالسَ العلمـــاءَ الناصـــحين لـــهُ ... ولـــم يباشـــرْ لمَـــا قـــالوهُ عِصـــيانا

وخـــالط الفقهـــاءَ المُخلصـــين ، ولـــمْ ... يَخـــرُجْ علـــى فقههـــم هـــوىً وبُهتانـــا

وســـامرَ الأدبـــا شـــوقاً لمَـــا حَـــذقوا ... مِـــن البيـــان ســـبا رؤىً وآذانـــا

هـــذا (ســـليمان) ، والقـــانونُ يعرفـــه ... إذ ســـنهُ ، واجتبـــى للسَّـــن أعوانـــا

مُوافقـــاً لنصـــوص الشـــرع فـــي وضـــح ... أراد بالسَّـــن توفيقـــاً وإحســـانا

ثـــم استشـــار (أبـــا الســـعود) تبرئـــة ... لذمـــةٍ ترتجـــي عَفـــواً وغفرانـــا

وخـــط دربـــاً يُقـــوّي رُكـــن دولتـــه! ... والـــدينُ يَحفـــظ للـــدولاتِ أركانـــا

وإن (هارولـــد) أغنانـــا بمِدحتـــهِ ... إذ خطهـــا يبتغـــي للحـــق تِبيانـــا

خـــط الكتـــاب ، وغـــالى فـــي أدلتـــه ... حتـــى يكـــون لأهـــل العلـــم برهانـــا

وللعبـــاراتِ فـــي الكتـــاب رَونقهـــا ... إذ أصـــبحت فـــي دنـــا التشـــكيك سُـــلوانا

هـــذا (ســـليمان) مـــا خبَـــتْ معاركـــه ... إذ أوْقـــدتْ فـــي قلـــوب البغـــي أضـــغانا

ملاحـــمٌ رسَـــم التـــاريخ قصـــتها ... وحِبْـــرُ ريشـــته مِـــن دمّ قتلانـــا

وإن فـــوق ربـــا (القوقـــاز) أشرسَـــها! ... وبعضُـــها قـــاده فـــي (أذرَبيجانـــا)

وفـــي (الأناضـــول) كـــم دَكـــتْ مدافعـــهُ ... بغـــيَ الـــروافض ، تُخْلِـــي منـــه أكوانـــا

وســـلْ (بـــروزةَ) عبْـــر البحـــر ، جـــذوتها ... تُصـــلي الألـــى رفعـــوا – بـــالرغم - صُـــلبانا

وســـل معـــي مَـــن رمـــى الفـــايكنج أجمعهـــم ... بالنـــار حتـــى محـــا كِبْـــراً وسُـــلطانا؟

ومَـــن أذل مجـــوسَ الأرض ، فانـــدحروا ... وزال مَـــن لبســـوا فـــي النـــاس تِيجانـــا

وفـــي جميـــع الـــدنا جلـــى عقائـــدهم ... ومَـــن لهـــا اتبعـــوا صُـــمّاً وعُميانـــا

هـــذا (ســـليمانُ) فـــي الحَـــرَمين طعمتـــه ... لمـــن أتـــى حـــرمَ الإســـلام جَوعانـــا

ومـــاء زمـــزم للأمصـــار حوّلـــه ... يـــروي بـــه الشـــعب إمـــا كـــان ظمآنـــا

وفـــي التكيّـــة مِـــن آثـــار نِعمتـــه ... وإن فيهـــا مـــن الخـــدام عُبـــدانا

يُهـــدي الحجـــيج ، ويَســـقيهم ، ويُطعمهـــم ... وكـــل ذلـــك قـــد أســـداهُ مَجانـــا

وكـــان يكســـو الألـــى حَجّـــوا أو اعتمـــروا ... مَـــن ارتـــدى ثوبـــه ، أو كـــان عُريانـــا

يرجـــو الثـــواب مِـــن الإلـــه محتســـباً ... كمَـــن يُراقـــبُ حـــين البـــذل رَحمانـــا

هـــذا (ســـليمانُ) فـــي (أســـتانةٍ) جُعلـــتْ ... دار الخلافـــــة ، زان الحســـــنُ بلقانـــــا

مـــا انفـــك يبنـــي بـــلا يـــأس ولا ملـــل ... ويستشـــــيرُ أولـــــي ذِكْـــــر وخِلانـــــا

حتـــى غـــدتْ فـــي ديـــار التـــرك حاضـــرة ... مثـــل العـــروس ارتـــدتْ فـــي العُـــرس فســـتانا

ســـل الفواكـــه فـــي أرحابهـــا ينعـــتْ ... وانظـــرْ نخـــيلاً وأعنابـــاً ورُمانـــا

فـــي كـــل صُـــقع بهـــا الأشـــجارُ باســـقة ... تفـــوحُ مِســـكاً وكـــافوراً ورَيحانـــا

فيهـــا البنايـــاتُ مـــا برحـــتْ تزخرفهـــا ... كـــالروض إمـــا ازدهـــى للعـــين ، وازدانـــا

مـــرّتْ قـــرونٌ علـــى مـــا قـــد بنـــاه بهـــا ... وكـــل صـــرح غـــدا حِصـــناً وإيوانـــا

قـــوارعُ الـــدهر مـــا نالـــت عِمارتهـــا! ... زلازلاً خبـــــرتْ تتـــــرى ، وبُركانـــــا

هـــذا (ســـليمان) والجهـــادُ يعرفـــهُ ... ســـيفاً ورُمحـــاً وســـاحاتٍ ومَيـــدانا

فـــي نصـــف قـــرن فتوحـــاتٌ مُكللـــة ... بالنصـــــر ، إذ غـــدَتِ الأرواحُ قربانـــا

فـــي (آســـيا) بعـــد (أفريقيـــةَ) انـــدلعتْ ... آنـــاً ، وفـــوق ربـــا (أوربـــةٍ) آنـــا!

فـــي (بُودابســـتٍ) و(تبريـــزٍ) و(مَرْسِـــيةٍ) ... و(بلجـــرادٍ) و(طولـــونٍ) و(جيّانـــا)!

فـــي (ســـيكتوارٍ) و(إيطاليـــا) ومـــا حوتـــا ... معـــاركٌ أرخصـــتْ فـــي الفـــتح أثمانـــا

وفـــي (ســـواكنَ) آيـــاتُ الجهـــاد زكـــتْ ... حتـــــى تُحـــــرّرَ إقليمـــــاً وإنســـــانا

واســـألْ ثـــرى (وبـــوليسَ) ذي حجارتهـــا ... قـــد خضّـــبتْ بـــدماء الجنـــد صـــفوانا

إذ أعلنـــــتْ يـــــوم أضـــــحانا نهايتهـــــا ... شـــــرّ الضـــــحايا قطيـــــعٌ زاد كفرانـــــا!

لـــذا فرحنـــا زُهـــاءَ الفـــرحتين معـــاً ... وجمعُنـــا بـــات يـــوم النحـــر جَزلانـــا

وإن (مُوهـــاكسَ) لـــم تبـــرحْ خواطرَنـــا ... إذ جرّعـــتْ جُـــل أهـــل الصـــلب خســـرانا

ولقنـــــتهم دروســـــاً ، عـــــز شـــــارحُها ... فمـــــا اســـــتطاعوا لهـــــا – واللهِ - نســـــيانا

وفـــتح (رودسَ) حـــيٌ فـــي ضـــمائرهم ... فقـــد أذلـــتْ ظـــروف الفـــتح فرســـانا

رغـــم الحصـــون تحـــدى الغيـــثُ عـــزمتهم ... إذ الهـــوانُ – علـــى أصـــحابه - هانـــا

فاستســـــلموا دون أن يُبْـــــدوا مقاومـــــة ... فـــالعِيرُ مـــا حسِـــبوا للحـــرب حُســـبانا

وران مـــا كســـبوا فـــي جُـــل عِيشـــتهم ... مـــن المعاصـــي علـــى قلـــوبهم رانـــا

فكـــان نصـــراً جَـــرَتْ ســـيلاً غنائمُـــه ... وأيّـــدَ الله يـــوم الفـــتح هلكانـــا

هـــذا (ســـليمانُ) زوجٌ لا نظيـــر لـــه ... واختـــار زوجتـــه العصـــماءَ (رُوكســـانا)

كانـــت حَصـــاناً رَزانـــاً فـــي قبيلتهـــا ... وبادلـــتْ زوجَهـــا عَطفـــاً وتحنانـــا

ويعجـــز الوصـــفُ عـــن فحـــوى مَناقبهـــا ... والأهـــلُ كـــانوا مَغـــاويراً وأعيانـــا

ســـليلة المجـــد فـــي أصـــل وفـــي نســـب ... فـــي الجـــود فاقـــت رجـــالاتٍ ونســـوانا

ولـــم تُســـافحْ ، ولـــم تخـــنْ تعففهـــا ... بـــل أحصـــنتْ فرْجهـــا – والـــربِّ - إحصـــانا

أغنتـــه عـــن كـــل مـــا يرجـــوه فـــي امـــرأةٍ ... وناولتـــــه رضـــــاً عنـــــهُ ورضـــــوانا

حتـــــى إذا بلـــــغ الســـــبعين أقعـــــدهُ ... داءُ الملـــــوك عـــــن الجهـــــاد أحيانـــــا

ويـــوم معركـــة (الهابســـورج) ناصـــحَهُ ... شـــيخ الأطبـــا: رعـــاك الله مولانـــا

بـــالنقرس اللهُ قـــد أعطـــاك معـــذرة ... والرخصـــة اشـــترعتْ عفـــواً وســـلوانا

فقـــال: إنـــي للاستشـــهاد مُنتظـــرٌ ... دَعنـــي أمُـــتْ فـــي ســـبيل الله رَيّانـــا

يـــأتي الشـــفاءُ إذا جاهـــدتُ مَـــن كفـــروا ... دعنـــي أرَغِـــم أهـــواءً وشـــيطانا

ويركـــبُ البحـــرَ مُســـتلاً مُهنـــدَه ... ومَـــن رآه رأى فـــي التـــوّ رُبانـــا

أو (بايزيـــدٍ) ، وتحْـــدُوهُ مـــآثرُهُ ... لمـــا غـــزا وسْـــط (أفريقيـــةٍ) غانـــا!

ولســـتُ أنســـاهُ إذ وافـــى بخطبتـــه ... فـــي يـــوم جُمعتـــه ، والفـــتحُ قـــد حانـــا

وبعـــدُ صـــلى بهـــم يرجـــو مثوبتـــه ... والجنـــدُ صـــاروا علـــى الأعـــداء عُقبانـــا

أعطـــى ملـــوكُ العِـــدا للفـــذ جـــزيتهم ... وأصـــبحوا عنـــدهُ فـــي الأرض جُعلانـــا!

وعـــاش يُوسِـــعُهم ذلاً ليقهـــرهم ... علـــى الخضـــوع لـــه قومـــاً وبُلـــدانا!

هـــذا (ســـليمان) ســـل عنـــهُ قراصـــنة ... لـــم يُبـــق مـــنهم بســـيف الحـــق قرصـــانا

والبحـــرُ يشـــهدُ إذ كـــان النـــزالُ بـــه ... والشِـــيبُ قـــد ســـبقوا للحـــرب شـــبانا

والكاثوليـــــكُ أغـــــاروا دون مرحمـــــةٍ ... علـــــى كتائبـــــه ، فاهتـــــاج غضـــــبانا

وخلفهـــــم بروتســـــــتانتٌ وكوكبـــــــة ... مـــــن كـــــل مرتـــــزقٍ يختـــــال ســـــكرانا!

فاجتـــــث بـــــاطلهم فـــــي كـــــل مصـــــطدم ... وألـــــبس المجـــــرمين العِيـــــر أكفانـــــا

وأنقـــــذ الشـــــهم آلاف اليهـــــود بهـــــا ... إذ أرســـــلوا مِـــــن شـــــكاوى الحـــــال أطنانـــــا

لكـــــنهم غـــــدروا ، والغـــــدرُ شِـــــيمتهم ... ويخـــــــذلُ اللهُ غـــــــدّاراً وخوانـــــــا

ويـــــوم مـــــات أقـــــام الكفـــــر مأدبـــــة ... فيهـــــا المطـــــاعمُ أشـــــكالاً وألوانـــــا

مـــــن موتـــــه اتخـــــذوا عيـــــداً ليحتفلـــــوا ... بمـــــوت مُـــــرعِبهم نومـــــاً ويقظانـــــا!

فيـــــا (طرابـــــزونَ) بـــــابن شـــــادكِ افتخـــــري ... أعـــــاد ذكـــــرى (أبـــــي ذر) و(ســـــلمانا)!

وجـــــدد الـــــدين فـــــي الأقطـــــار قاطبـــــة ... ومـــــا علمنـــــا لـــــه فـــــي العـــــزم أقرانـــــا

وقبـــــل أن تُـــــدرك الســـــلطان ميتتـــــهُ ... أوصـــــى الصـــــناديد أصـــــحاباً ونـــــدمانا

يـــــا قـــــوم فلتُخرجـــــوا كفـــــيّ مـــــن كفنـــــي ... كأنمـــــا دوحـــــة تمـــــد أغصـــــانا!

كـــــي يـــــدرك النـــــاس أنـــــي مـــــا أخـــــذتُ شـــــياً ... أنـــــا الـــــذي عشـــــتُ فـــــي دنيـــــايَ ســـــلطانا!

كـــــذاك دُسّـــــوا معـــــي فـــــي القبـــــر أســـــئلتي ... تكـــــون شـــــاهد عبـــــدٍ بـــــات حيرانـــــا

حتـــــى تقـــــول: أنـــــا اســـــتفتيتُ مَـــــن فقهـــــوا ... وهـــــم أجـــــازوا ، ومـــــا أرغمـــــتُ إنســـــانا

يـــــا آل عثمـــــان أحســـــنتم قيـــــادتكم ... طوعـــــاً لـــــرب الـــــورى ، حبـــــاً وإيمانـــــا

ولـــــم تخـــــافوا فلانـــــاً رغـــــم ســـــطوته ... ولـــــم تخـــــافوا غـــــداة الـــــروع عِلانـــــا

يـــــا (آلَ عثمـــــان) أدّيـــــتم أمـــــانتكم ... يـــــا رب فـــــارحمْ ، وســـــامحْ (آلَ عثمانـــــا)!

البكائية النحوية
(في رثاء الشاعر الدكتور عدنان النحوي)

(لقد رثيتُ الكثيرين بشعري هذا. غير أنني أرثي الدكتور عدنان النحوي بشعري وشعوري وعاطفتي وإحساسي. فلقد كان يُمثل لي الكثير. ولقد امتدّت علاقتي به على مدي عقدين ونصف ، تبادلنا القصائد. والتقيت به في عجمان وصلينا معاً ، وتبادلنا الرسائل وتجاذبنا أطراف الحديث معاً. والعجيب في هذه القصيدة الرثائية أنني بعد إتمامي لها ، ألفيتني قد كتبت خمسين بيتاً ، تماماً كما كانت قصيدة والدي علي سليمان عبد الرحيم! وعلى نفس عدة قصيدتي في رثاء أمي! فكأنه مقام الوالدية يا دكتور عدنان! الغائب الحاضر الدكتور الأديب الشاعر الوالد عدنان علي رضا النحوي (1346هـ / 1928م - 21 ربيع الأول 1436هـ / 12 يناير 2015م) ، الأديب والناقد والنحوي الفلسطيني السعودي ، ولد بفلسطين وحصل على بكالوريوس في التربية والتعليم وأصول التدريس من فلسطين ، وبكالوريوس في هندسة الاتصالات الكهربائية من مصر والماجستير والدكتوراه في نفس التخصص من أمريكا. عمل مدرساً في سوريا والكويت وفي مجال الإعلام الإذاعي في سوريا والسعودية. أسس دار النحوي للنشر والتوزيع بالرياض ، وأصدر من خلالها مؤلفاته. له عضوية في عدد من الجهات الأدبية والثقافية والمهنية مثل معهد المهندسين الكهربائيين في إنجلترا ، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية في عمّان ، وعضو مؤسس في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة. عدنان النحوي الرجل الذي كان يعيش بجوارحه ومشاعره وعواطفه وأحاسيسه أكثر من أن يعيش بجسمه بيننا. عدنان النحوي الذي ذكَرني في أشعاره ، وسطر فيَّ وفي شعري القصائد ، فمن أنا؟ ومن عدنان؟ أين الثرى من الثريا؟ أين القزَم من العلَم؟ عندما ذكرته في شعري ، لم ينله كبير شرف. لكنه عندما ذكرني في شعره نالني الشرف الكبير ، حيث قدمني للجمهور وللناس وللشعراء في وقت مبكّر. فجزاه الله عني خيراً كثيراً. وهذا منه تواضع كبير جداً أسأل الله أن يأجره عليه الجنة. ثم إنه تفضل بعد ذلك بمراجعة دواويني ، وترك تعليقاته وتعديلاته وصولاً بها إلى القمة. وكان في غاية التفاهم ومراجعة النفس. أذكر أنه حمل على الأستاذ المودودي في بعض مقالاته. وكنتُ قد استهجنتُ ذلك ، فكتبتُ له رأيي موثقاً بالأدلة والبراهين ، فما هو إلا أن قام بالردّ عليّ والاعتذار للأستاذ المودودي. وكانت هذه بداية تعارفنا ومراسلاتنا منذ عام 1993م ، حتى ذهب إلى الله شهيداً مجاهداً. عدنان النحوي الذي عزمتُ على أن أترجم له في مستهل قصيدتي هذي ترجمة مستفيضة تفي بحقه. أسطرها اليوم من باب ردّ التحية التي تفضل بها شعراً من ذي قبل. ألا وإن مصاب الأمة في النحوي لجلل. وإن مصاب الشعراء المؤمنين في عدنان لا يوصف! ولقد تحدّث كثيرون عنه. ولكن الذي استرعى انتباهي ما سطره الأستاذ عبد العزيز العسكر عنه. والذي سوف أقتطف بعض الفقرات من ترجمته عن الدكتور عدنان ، لأنها تكاد تكون أدق ترجمة له وأوفاها فيما طالعتُ ودرست. نعم تحدث الكاتب السعودي الكبير الأستاذ عبدالعزيز بن صالح العسكر – في ترجمةٍ مستفيضةٍ عن الدكتور عدنان النحوي ، نقتطفُ من أزهار بساتينها هذه الكُليمات. يقول: (كانت بلدة صفد في فلسطين نقطة انطلاق لشاعرنا ، فعلى أرضها وُلد ، وفي قلعتها تربّى ، وبين بساتينها الوارفة نشأ من أسرة كريمة ، تنتسب إلى عالم جليل ، اشتهر بين الناس بصفته العلمية وعرف بالنحوي. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في صفد ، وحصل على دبلوم دار المعلمين عام 1948م من الكلية العربية في بيت المقدس ، وبعد نكبة عام 1948م هاجر هو وأهله وأبناء بلده ، فاستقر به

المقام في دمشق ، فعمل في التدريس فيها خمس سنوات ، ثم انتقل إلى القاهرة ، ودرس الهندسة في جامعة القاهرة وحصل على شهادتها سنة 1961م ، ثم حصل على الماجستير ، ثم الدكتوراه في مجال الاتصالات الكهربائية من أميركا عام 1985م. والناظر في تخصص الدكتور عدنان الدراسي ، يجده بعيداً كل البعد عن الأدب ؛ وأنا أجزم أنه لا رابط بين الهندسة وبين الأدب ، وبخاصة الشعر! لكن الأمر عند شاعرنا ، كما وصفه الدكتور محمد مصطفى هدارة رحمه الله في قوله في مقدمة ديوان: «الأرض المباركة» للنحوي ، الذي صدرت طبعته الأولى عام 1396هـ - 1976م: «وما من شك في أن عدنان نشأ مفطوراً على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحدة في كل أدوار حياته ، حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة ، فالشعرُ عنده ليس مُعاناة احتراف ، ولا مُحاولة لإثبات وجود في كل مناسبة تسنحُ ، وليس مطية ذلولاً يتسلى بركوبها في رحلة الحياة ، وإنما هو نبض وجدانه ، ومعاناة عاطفته ، وفيض مشاعره وذوب فكره. إنه يسري في جسده مَسرى نفسه ، فليس عنه غِناء ، وليس منه بُد. إن هَمّ التفكير في الأمة والدعوة إلى العمل لحاضرها لمستقبلها ، وإنهاض الهمم لا يفارق شاعرنا برهة من الزمن ؛ فها هو على سرير المرض في لندن لإجراء عملية في القلب عام 1402هـ ، وعاد ابنه بلال إلى الرياض ، فنظم قصيدة منها قوله:

ذكرنـاك ما بيـن المـروج ورفـقـة ... من الأهل والأصحاب والخلصـاءِ

وأنــداء أنســام وحلـو غـرائــس ... وخـفـق ضلوع فـي صـفي دعـاء

ومن يصدق الرحمن ينح لمرتقى ... عـزيــز وعـقـبـى نعـمـة وجــزاء

أألهـو وفـي لـبـنان هـول مـجـازر ... وصـرخـة أيـتــام ورجْــع نــداء؟

ومكرٌ (لريجان) و(بيجن)عاصفٌ ... ليحصد مـن أهـل ومـن ضـعـفـاء؟

كان نعم الصديق. شاعر طبع له أكثر من عشرة دواوين شعرية ، وأكثر من ثمانين كتاباً في الأدب والنقد ، وجمع رصيداً ضخماً من التجارب في الحياة ؛ فابتلي بالطرد من الوطن ، وبفقد الولد ، وعاش آلام أمّته ، وأعداؤها ينهشون جسدها قطعة قطعة ، وعمل في التدريس زمناً. أديب وناقد بهذه القامة لا يمكن أن تفيه حقه وحق أدبه ، سطورٌ قليلة كهذه! بقي أن أشير إلى أن «موكب النور» ، الذي أكملتُ به عنوان هذا المقال ، مستعارٌ من اسم أحد دواوين شاعرنا ، ولقد وجدت أن أصدق عنوان لطريق شاعرنا الذي سلكه وسار فيه حاملاً لرسالته هو موكب النور ، وفي ذلك الموكب انطلق من «الأرض المباركة» ، وقد واجه في طريقه «جراحاً على الدرب» ، وكان يرى في الأحداث التي تمر بأمته ووطنه «حرقة ألم وإشراقة أمل» ، وفيها «عبر وعبرات». وكان من نتيجة معاناته واستجابة للواجب الذي يحمله بصفته أديباً وشاعراً مسلماً أن نظم أكثر من عشر ملاحم شعرية مطبوعة. عدنان بن علي رضا بن محمد بن عبد الغني ، ويمتد النسب بعد ذلك إلى الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجي. فقد الكثير بعد الخروج من فلسطين وفقد تراث العائلة كالمكتبة وغيرها. أما لقب (النحوي) ، فقد أطلقه والي عكا حين مرّ بها أحد أجداده قادماً من القاهرة ، متخرجاً من الأزهر ، لا يتكلَّم إلا العربية الفصحى ، فسمَّاه النحوي وولاه القضاء في صفد. وأما والده فهو المجاهد والسياسي علي رضا النحوي ، وأجداده وأعمامه علماء وقضاة ، ومُفتون ورجال قانون وإدارة ، وأدباء وشعراء. فنشأ ينهل من هذا الجو الغني منذ طفولته ، وينهل كذلك من مكتبة آل النحوي التي

تحدّث عنها (محمد علي كرد) في كتابه "خطط الشام" ، والتي زارها عدد من رجالات العرب من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين وغيرها مثل: أحمد زكي باشا ، محمد علي كرد ، توفيق دياب ، وعدد من رجال الصحافة وآخرون وكذلك كان ينهل من أجواء الضيوف الوافدين على عائلته من العلماء والأدباء ورجال السياسة ومن مجالسهم الغنيَّة. وفي هذا الجو نشأ نشأة الإيمـان والعلم والأدب ، وتزوّد بزادٍ كريم ، أطلق مع الأيام مواهبه وقدراته ، فنظم الشعر سنة 1942م ، كما يظهر في دواوينه ، وبرز في حياته الدراسية والعلمية ، وجاءت مؤلفاته زاخرة بثمار ذلك الزاد وحصاد مسيرته كلها. يضاف إلى ذلك مدينة "صفد" نفسها وتاريخها العريق ، والعلماء الأفذاذ الذين ظهروا فيها مثل "صلاح الدين الصفدي" ، والجدِّ الأوَّل لآل النحوي في "صفد": "شهاب الدين أحمد بن موسى بن خفاجى الصفدي" المتوفى فيها سنة 750هـ ، والذي له مسجد في "صفد" يُسمَّى باسمه: "جامع الخفاجي". وغيرهما من العلماء. يضاف إلى ذلك جمال مدينة "صفد" ، والمناظر الطبيعية الخلابَّة التي تحيط بها مثل جبال الجليل وأعلاها جبل الجرمق ، وجبال سوريا ولبنان المجلوة أمام العين ، وبحيرة الحولة وبحيرة طبريا ونهر الأردن والسهول المحيطة بألوانها الرائعة المختلفة المتموجة ، هذه المواقع كلها تحمل جزءاً غير يسير من عظمة تاريخ الإسلام ومعاركه الفاصلة في التاريخ ، ومن مسيرة الأنبياء والمرسلين – عليهمُ الصلاة والسلام - في تاريخ حافل جعل فلسطين كلها هذه البيئة الغنية ، والمناظر البهيَّة ، وجمالها الساحر ، وهي تسبِّح خاشعة إلى ربها وخالقها ، تدفع الإنسان إلى النظر في آيات الله ، والتأمل في المرابع والآفاق ، فتغرس في النفس حبَّ الجمال الطاهر ، وتهب القلب صفاء الفكر والتصور ، وإذا التأمل والصفاء يبعث في القلب نهجاً جلياً في الحياة ، يقوم على صِدق الرأي ووضوحه ، وقوة الفكر والتأمل ، وأمانة الكلمة والفكرة ، وثبات الموقف على الحق ، واستقامة المسيرة والنهج ، على إيمان وتوحيد بفضل من الله وهداية منه. وقد رافقت هذه النشأة الثورات المتتابعة في فلسطين منذ مرحلة الطفولة الباكرة ، مما كان يلهب المشاعر ويمتزج مع ما كان يزوده به الأهل والبيئة ، ليكون حافزاً إلى الجدّ والعمل ، وإلى التزوّد والإعداد. وساهم منذ طفولته كما ساهم أطفال فلسطين بالتصدّي للإنجليز واليهود ولو بالحجارة. ورافق هذه الثورات والأوضاع المضطربة ضرورة التنقل وعدم الاستقرار. وأورث هذا كله وعياً سياسياً مبكراً ، وفهماً واضحاً للعدوّ وأساليبه ، وإدراكاً لضعف القوة المتوافرة عند المسلمين آنذاك ، مع بقاء الأمل مشرقاً في النفس. والبحث المستمر عن طريق النجاة للأمة. ولعله كان هو وزملاؤه الأطفال أول من حمل الحجارة و"المقلاع" و"بارودة السيخ" وغيرها من أسلحة الأطفال المعروفة آنذاك في تصيد الدبابات والدراجات البريطانية ، ثم تبدأ المطاردات حتى يحتموا بأوّل بيت يلقونه لقد وهبت هذه النشأة الدكتور النحوي زاداً غنياً نديّاً ، ظل يروي مسيرته كلها في مراحلها المختلفة: إيماناً وعلماً ونهجاً وعطاءً. أنهى دراسته الابتدائية والثانوية بين صفد وعكا ، ثمّ اختير ليُتِمَّ دراسته في دار المعلمين بالقدس (الكلية العربية) ، والتي كان يُختار لها الأوائل من كل مدينة في فلسطين. وفي دار المعلمين تعدّدت أبواب الدراسة: علوم التربيـة وأصول التدريس وعلم النفس ، وعلوم الرياضيات وتاريخها والفيزياء والكيمياء ، واللغة العربية وفقه اللغة ، ونحوها وصرفها ، والبلاغة والعروض ، والأدب العربيّ في عصوره المختلفة ابتداء من العصر الجاهلي ، وقليل من اللغة اللاتينية ، والمنطق ، وتاريخ اليونان والرومان بتفصيل واسع وتاريخ أوروبا ، ثم تاريخ إنكلترا بصورة موسعة ومفصلة كثيراً ، واللغة الإنكليزية وتاريخها وآدابها ومذاهبها

الأدبية بصورة موسَّعة جداً. وكان في الكلَّيَّة العربية مكتبة غنية ، فحبِّبت إليه المطالعة ، فعكف على مطالعة أهم الروايات العالمية ، وأهم الكتب الفكرية والأدبية والتاريخية ، يملأ بها وقت فراغه بصورة موجزة في المدارس ، التي كان يقرر مناهجها الانتداب البريطاني المحتلّ ، المكلف بإكمال خيوط المؤامرة على فلسطين. ولكن البيت والأهل كانوا يسدّون جزءاً غير قليل من هذا النقص في دراسة الإسلام في المعاهد الرسمية الحكومية ومن خلال هذه النشأة ومسيرة الحياة والعوامل المؤثرة كلها حفظ القرآن الكريم ودرس تفسيره وتجويده وعلومه. ودرس السنّة من الصحاح والسنن والمسانيد ، ومصطلح الحديث. كما درس الفقه من كثير من كتبه في المذاهب المختلفة ، وأصول الفقه ، وتابع دراسة اللغة العربية وآدابها. وظلت الدراسة الجادة جزءاً رئيساً في حياته في مختلف العلوم ، تخضع إلى منهج محدَّد يمضي عليه حياته كلها ، وكذلك أُسرته وكلُّ من رغب في النهج والتزمه. ذلك هو المنهاج الفرديُّ الذي هو جزء من النهج العام الذي يدعو إليه: "نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن". ونال البكالوريوس في الهندسة الكهربائية قسم الاتصالات بدرجة جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية من مصر ، ودرجة الماجستير والدكتوراه في نفس الاختصاص العلمي من أمريكا ، ودرجة الزمالة من إنكلترا. كما أخذ دورات تدريبية في هذا التخصص في فرنسا لدى أكبر شركاتها المتخصصة ، ودورة تدريبية في الدراسات العليا في الهندسة الكهربائية في جامعة الملك سعود. ودرس اللغة الفرنسية في دورة عامة في جامعة بيزانسون في فرنسا ومع مسيرة الحياة ، كان يتابع دراسة الواقع والأحداث السياسية ، كجزء رئيس من المنهج الثابت الذي يمضي عليه في حياته. وكانت دراسة الواقع والفكر السياسي عنده تتم من خلال أهم الكتب التي تصدر باللغتين العربيّة والإنكليزية ، والمجلات المتخصصة في أبحاثها ، بالإضافة إلى وسائل الإعلام المختلفة ، وبالإضافة إلى الصلات التي توفرها له بيئته وأهله ، والنشاط الذي يتبع ذلك. ونمت هذه الدراسات وأخذت ميادين متعددة حين انطلق في الدعوة الإسلامية في باكورة شبابه ، ونمت معها الخبرة ونما الزاد من العلوم المختلفة. كما زادته مهنة التدريس ثم عمله في الحقل الهندسي ومسؤولياته الكبيرة ، ثم العمل في المؤسسات التي أنشأها مرحلياً ، والرحلات والسفر إلى بعض بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا ، والندوات والمؤتمرات ، هذه كلها زادته خبرة وعلماً. وكان النزوح الأول عن فلسطين بحدود سنة 1937م إلى دمشق ، ليلحق هو ووالدته وإخوته بوالده الذي سبق أن خرج مع أعضاء اللجنة المركزية التي تقود ثورة سنة 1936م ، اللجنة التي كان الإنكليز يطاردون رجالها لإجهاض الثورة. وكانت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي آنذاك. وكان الانتداب الفرنسي يضيق مجال التحرك على أعضاء اللجنة ، ولا يسمح لهم بالإقامة في مدينة واحدة ، مع المراقبة اليومية. وكانت الحياة صعبة مع هذه الظروف . ولكنها سمحت لداعيتنا بالتعرّف على المجاهدين وعلى رجالات الثورة ، ومتابعة الأخبار. ولما توقفت الثورة عاد إلى صفد ، دون أن يُسْمَح لوالده بالعودة. وكان الإنكليز قد نسفوا بيتهم الكبير في وسط مدينة صفد في موقع يشرف على جبل الجرمق ومواقع جميلة أخرى. وظل فيه جدار واحد قائماً. والحجارة التي انهارت ظلت على الأرض إلى تاريخ النزوح الثاني ، شاهدة على جريمة المعتدين الظالمين. ولكن اليهود أزالوا بعد احتلالهم آثار الجريمة ، وأقاموا مكانها عمائرهم. وقد أقام هو ووالدته وإخوته في بيت العائلة ، بيت الأجداد ، البيت الذي كان يُسمَّى "بيت القضاء" لأن أجداده القضاة كانوا يقيمون فيه. وكان يتمُّ فيه دروس دينيّة للراغبين ، دروس منهجيّة يتخرج منها الطالب ليزاول عملاً شرعياً. وعندما سُمِح لوالده

بالعودة ، انتقلت العائلة إلى مدينة عكا ، حيث أصبح والده مدير أوقاف اللواء الشمالي. وهنالك بدأ نشاط داعيتنا الاجتماعي والسياسي في النوادي الثقافية ، ومع الطلاب والشباب المتعلمين وهو في سنّ مبكر ، بدأ نشاطه ونشاط إخوته كذلك .كوّن مع بعض الطلاب من مدن فلسطين المختلفة اتحاداً للطلاب ، ليجمعوا الصفوف لمقاومة الإنكليز واليهود ، وكان من بواكير أعمالهم المظاهرة الكبيرة في القدس ، المظاهرة التي ضمت مختلف كليات القدس. وطافت المظاهرة شوارع القدس ، وانتهت في باحة المسجد الأقصى ، حيث ألقى داعيتنا خطبة في الطلاب والجماهير المحتشدة ، ونجد بعض الصور لهذه المظاهرة في كتابه "على أبواب القدس". وعاصر في القدس أحداثاً جساماً قامت بها الثورة آنذاك يقودها المجاهد عبد القادر الحسيني رحمه الله. وبعد التخرج توجه إلى عكا عبر طرق خطرة ، حيث كانت الثورة قد اشتعلت. وتعرّض هو ومنْ معه لحادث نجّاهم الله منه ، ومن عكا كان النزوح الثاني إلى دمشق ليرافق والدته المريضة التي توفيت بعد ذلك بسنة تقريباً يرحمها الله ، وبقي والده وأخواه في عكا ، حتى سقوط مدينة عكا ، فغادروا المدينة في اللحظات الأخيرة ، وأخذت المدن تتساقط واحدة بعد الأخرى ، والأفواج المتلاحقة من أهل فلسطين يلجؤون إلى سوريا ولبنان وغيرهما. ولم يكن يدري النازحون أنه لا عودة لهم بعد هذا النزوح ، وأن الأعداء يسيرون على خطة واضحة لديهم ينفذونها ، وأن المسلمين في الأرض لا خطة لهم. وكان من أخطر ما اكتشفه هو وغيره أن المسلمين في الأرض خارج فلسطين لا يدركون أن فلسطين هي أرضهم شأنها شأن أوطانهم وأنها مسؤوليَّتهم ، وأن كل مسلم محاسَب يوم القيامة عن ضياع فلسطين. وكان ما يسمى بجيش الإنقاذ من كل البلاد العربية قد دخل فلسطين لينقذها ، كما كان يقال آنذاك ، ولكنّ الأمر كان غير ذلك. وجُرِّد أهل فلسطين من السلاح ، وسقطت المدن كأنها مدن مفتوحة إلا بقايا مقاومة ضعيفة. ولسقوط كل مدينة قصَّة ومأساة ، وحيرة وتساؤل وذهول. وزاد احتكاك داعيتنا مع رجالات فلسطين من خلال نشاط والده علي رضا النحوي الذي كان يبذل الجهد مع إخوانه لإيقاظ الأمة وتنبيهها إلى حقيقة الخطر الذي يهدّد العالم الإسلامي كله ، الخطر الذي يحمله اليهود الملتفّون كلهم حول الصهيونية والذين تدعمهم السياسة الدولية كلها. وانتقل بعد ذلك داعيتنا إلى الكويت. وهنالك نما نشاطه السياسي والفكري ، وتحدّد اتجاهه الإسلامي بشكل واضح ناضج ، واستمر منهجه الدراسي. وكان يُلقى محاضرة كل أسبوع عن الإسلام أو العمل الإسلامي ، أو قضاياه ، مثل قضية فلسطين ، وغيرها. ومن أجل دخول الجامعة في مصر لدراسة الهندسة لم تكن تقبل شهاداته التي مرَّ عليها أكثر من سنتين. فتقدّم لامتحان التوجيهية الكويتية ونال المرتبة الأولى بمعدل غير مسبوق ، مما سهل دخوله الجامعة مع إعفائه من الرسوم بسبب معدّله العالي ، وانتقل إلى القاهرة ودخل الجامعة وحافظ على تفوقه فيها. وتابع نشاطه الإسلامي. وفي هذه المرحلة أخذ يدرك بصورةٍ أوضح المخاطر أمام العمل الإسلامي وأمام المسلمين جميعاً. قدّم نهجاً بالنسبة لقضية فلسطين ، ليتولاه صفٌّ صامد واحد للمؤمنين المتقين ، لأنهم هم أول المسؤولين والمحاسبين عن فلسطين ، في الدنيا والآخرة. وهل يعقل للحظةٍ أن يكون أحد أكثر مسؤولية من المسلمين المؤمنين المتَّقين؟! ولكنها كانت صيحة غابت وراء الآفاق ، وأجهض النهج والتصور كلَّه ، وقامت أنشطة أخرى ملأت الساحة آنذاك وطغت عليها ، ونالت الدعم كله! وكانت هذه الفترة مليئة بالنشاط ، وكان الأمل ينمو بأن يهتدي المسلمون إلى الطريق المستقيم الأمثل لمجابهة الأحداث. وكانت الفرصة مواتية للانطلاق بصورة واعية تجمع القلوب والسواعد ، ولكن يبدو أن عوامل التمزيق كانت أقوى. وانتقل

داعيتنا بعد ذلك إلى سوريا. وبدأت حياته الزوجية مع انتقاله إلى حمص ، حيث عمل مهندساً ثم مديراً للإذاعة التي كانت في مرحلة الإنشاء. وتعرّض لمتاعب متنوعة ، كان من أهمها الغارات الجوية التي تنهال على الإذاعة مع كل انقلاب ، والتي نجاه الله منها برحمته ، ومتاعب أخرى متعددة ، وانتقل إلى السعودية حيث عمل في وزارة الإعلام في الرياض مسؤولاً عن محطات الإرسال ، ثم أنشأ أول استوديو في إذاعة الرياض افتتح في أول شهر رمضان المبارك سنة 1384هـ. ثم أصبح مسؤولاً عن المشروع الأول الكبير ، مشروع محطة إرسال الميجا واط ، ثم سائر مشاريع محطات الإرسال الإذاعي الكبيرة التي جعلت إذاعة المملكة من أقوى الإذاعات. وأصبحت مسؤولية كبيرة لضخامة المشاريع ، ودخل مع الشركات المنفّذة في خلافات حادة في النواحي الفنية والمالية والقانونية ، وكُوِّنت من أجل ذلك لجان تحقيق رسمية ، وكانت نتيجة ذلك أن أعانه الله على حفظ المشاريع من الناحية الفنية وإجبار الشركات على إصلاح العيوب والأخطاء ، وعلى حفظ أموال الدولة ، واستعادة الدولة حقوقها المالية من الشركات. وأصبح موضع تقدير الشركات نفسها واحترامها ، لدقته العلمية وقوّته ، ولنزاهته وعدالته. ولقد مرَّ داعيتنا من خلال ذلك بمواقف وتحديات كثيرة وكبيرة ، تحدِّيات علمية وفنية ، وقانونية ومالية وغير ذلك ، أمام كبار مهندسي الشركات وخبرائها الفنيين والقانونيين والماليين! فمنَّ الله عليه بفضله ، فحقَّق نصراً كريماً نال به احترام الجميع. لا مجال هنا لذكر جميع هذه المواقف والتحديات على أهميتها وطول امتدادها قرابة خمسة عشر عاماً ، إلا أننا نكتفي بذكر موقفين اثنين: فبعد الانتهاء من إحدى المفاوضات الطويلة مع إحدى الشركات وخبرائها ، وبعد أن أقرَّت الشركة بكلِّ ما بيَّن لهم داعيتنا ما وقعوا فيه من أخطاء ومخالفات في التنفيذ ، ووافقوا على دفع التعويضات المالية للدولة وإجراء الإصلاحات اللازمة ، وبعد أن أقروا بذلك كلِّه ووقَّعوا عليه ، قام رئيس وفد الشركة المفاوض وصافحه وخاطبه بالإنكليزية ما معناه: "إننا نحترم المبادئ التي حاربتنا بها ، واعتبر شركتنا مفتوحة لك في أي وقت وفي أي مركز ترغبه. أنت أهل لكلِّ احترام". فردَّ عليه بقوله: "أنا لم أحاربكم ولكن بيّنت لكم عملياً ما هو الإسلام. هذا ما لِقيَه من غير المسلمين الذين كشف لهم أخطاءَهم ورفض إغراءاتهم ، ورأوا منه نهجاً سليماً ، وموقفاً صلباً. وعند الله خيرٌ من ذلك كله إن شاء الله. لقد كان الفضل كله لله إذ أعانه على أن يقدّم الإسلام لهؤلاء بالموقف والسلوك ، والانتصار على كلِّ الإغراءات وأبواب الفتنة ، وبالثبات على الحق ، وتحمل النتائج التي كانت أوَّل الأمر إيذاء شديداً وإرهاقاً وظلماً ، ثم انقلبت إلى راحة نفسية ، وإدراك أوسع لهداية الله وفضله. وموقف آخر: فقد رفعت لجنة فنية كُوّنت من ثلاثة في نفس اختصاصه الهندسي تقريراً فنياً عن المشروع المشار إليه أعلاه ، تقريراً مخالفاً لما ورد في دراساته وتقاريره الفنية. فجمعته لجنة التحقيق بهم ليدور حوار علمي على مسمع من جميع أعضاء اللجنة. وبدأ الحوار وامتدَّ حتى ظهر الحق فيما عرض من حجَّة وعلم ، فأسقِط في أيديهم واحمرَّ وجه رئيس اللجنة الفنية خجلاً ، ثم وقف وقال: لم يعد من حاجة لوجودي وانسحب مع زميليه. ويقول داعيتنا عن هذه المواقف: "هذه مواقف وتحدِّيات كان الفضل فيها لله ، فهو الذي هداني وعصمني وأعانني ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، بعد أن كانت الفتن والإغراءات من كلِّ لون وبكلِّ أسلوب تتدافع من كلِّ ناحية من الصعب أن توصف شدة الإيذاء الذي عانى منه ، من هنا ومن هناك ومن مصادر متعددة ولمدَّة طويلة نسبياً. ولكنَّه خرج من ذلك كله بفضل من الله: هداه الله وعصمه وحفظه ، وحسب المؤمن أن ينال ذلك. وكان من بين مسؤولياته في وزارة الإعلام أن كان المستشار

الفني لوكالة الأنباء الإسلامية. وشارك في وضع أسسها الفنية ومواصفاتها الرئيسة ودراسة العُروض التي قدمتها شركات عالمية. وكان هذا العمل الطويل صورة عمليّة لممارسة نهجه وإيمانه وعلمه. ولكنه كلّفه الكثير من صحته. فخرج من العمل لتُجرى له أول عمليّة مفتوحة بالقلب ، ثم الثانية ، ثم الثالثة بالبالون ، ثم السكري والربو ، مع آلام في فقرات الظهر والرقبة ، والركبتين ، وغير ذلك ومازال تحت العلاج حتى اليوم. ويقول داعيتنا: "ولقد كان لهذا البلد المسلم الذي أصبحت مواطناً فيه فضل عليَّ كبير. ففيه كان كلُّ عطائي الفكري والأدبي والدعوي. ومن هنا نمت خبرتي ونما علمي. ومن خلال عملي زرت عدَّة بلدان وحضرت عدَّة مؤتمرات. وأرجو أن أكون قد قدَّمت خلال إقامتي هنا ما يرضي الله سبحانه وتعالى في أكثر من ميدان. ومهما قدَّم المسلم لأمته ودينه فيظلُّ مقصِّراً في حقِّ أمَّته ودينه. والواجب كبير والمسؤولية كبيرة. "أما المعاناة والآلام والإيذاء الشديد فذلك يُنسى مع الأيام. وأصبح يقيم في السعودية مواطناً فأقام أولاً مؤسسة البُشريات ، ثم دار النحوي للنشر والتوزيع. ولكنّ التحديات لم تتركه ، وظلَّ ماضياً على نهجه ، صابراً على ما يلاقيه في ميادين جديدة. ولقد رأى أن الاعتكاف على الكتابة والتأليف ووضع خلاصة تجربته في الحياة وفي العمل الإسلامي الطويل ، أتقى وخير له في دينه ودنياه ، معتزلاً ميادين التنافس على الدنيا وزخارفها ، التنافس الدنيوي والجري اللاهث وراء زخارفها الكاذبة ، التنافس الذي مزَّق المسلمين ، وفتح فيهم ثغرات واسعة يدلف منها الأعداء ، ليلهبوا الفتنة ، ويزيدوا التمزيق ، ويوهنوا القوى. هذا وقد جمع مكتبة علمية تضمّ شتّى أنواع المعرفة من هندسة وعلوم أخرى ، وأدب وفكر ، ودين ، دراسة الواقع ومذاهب وغير ذلك ، وتضمُّ بحدود عشرة آلاف كتاب تقريباً. زار خلال هذه المسيرة أقطاراً متعددة في العالم من خلال نشاط علمي أو دعوي أو فكري ، أو أدبي وحضر مؤتمرات متعدّدة. ومن أهم الأقطار التي زارها: سويسرا ، ألمانيا ، إنكلترا ، فرنسا ، بلجيكا ، السويد ، إيطاليا ، اليونان ، كندا ، أمريكا ، الكويت ، قطر ، البحرين ، الإمارات العربيـة المتحدة ، العراق ، الهند ، باكستان ، تركيا ، مصر ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، وغيرها. قضى في هذا الميدان قرابـة ستين عاماً ، ينهل ويعطي ، ولقد تعهّد أجيالاً وربى ناشئة ، واكتسب من خلال ذلك خبرة تنضم إلى دراسته في التربية وعلم النفس وممارسته التدريس ثماني سنوات ، وسائر خبراته التي عرضناها لا يخفى على أحد ما لاقاه العمل الإسلامي خلال هذا القرن ، وبصورة خاصة في النصف الثاني منه ، وما كان فيه من ابتلاء وتمحيص ، وعقبات ومشكلات ، وفتن ونكبات ، سواء أكان ذلك في الصف الداخلي أم من الخارج! ولقد قدّم نصحه بصورة مستمرة من خلال دراسات وأبحاث ، مع توافر الحجة والبيّنة من الكتاب والسنة. وتكوَّن لديه من خلال ذلك تصور واضح رأى ضرورة عرضه بصورة جادّة حازمة. فكان المنهجُ الذي يدعو إليه كلَّ مسلم وكلَّ أسرة وكلَّ جماعة ولكل داعية وعالم: نهج يحمل النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، والدراسات التفصيلية لبنودها وعناصرها ، والمناهج التطبيقية ، والنماذج العملية ، والدراسات الأدبية والملاحم والقصائد ، ودراسات موسعة في قضايا الواقع من خلال منهاج الله ، والنظام الإداري ، وتحديد الأهداف الربّانية الثابتة ، والأهداف المرحليّة ، ليكون كلُّه نابعاً من الكتاب والسنة ، ملبياً لحاجة الواقع ، معيناً للمسلم على النجاة من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة ، وعلى المساهمة في تحقيق الأهداف الربانية الثابتة في الحياة الدنيـا ، والمضيّ على صراط مستقيـم ، ذلك كله بمشيئة الله وفضله ، لمن صدقت نيَّته وصحَّت عزيمته. ولقد واجه داعيتنا الدكتور عدنان علي رضا محمد النحوي تحدّيات كثيرة

في ميدان الحيـاة ، مما يمكن أن يوقع الإنسان في فتن ومحن. ولكن فضل الله كان كبيراً عليه ، حين عصمه من الدخول في أي فتنة أو الخروج على منهاج الله ، أو عدم ردّ الأمور صغيرها وكبيرها إلى منهاج الله. فظل خلال مسيرته كلها: صادق الرأي واضح الحجة والبينة ، أميناً في موقفه ثابتاً يرجو طاعة الله ورحمته ، مستقيماً في مسيرته على صراط مستقيم. متجاوزاً القيل والقال وترَّهات الأمور. لقد قدَّم دراسات لمن يعنيهم الأمر عن نواحي الخلل والضعف في واقع الدعوة الإسلامية ، دون أن يلجأ إلى نشر ذلك في وسائل الإعلام ، كما فعل الكثيرون. ولقد لاقى داعيتنا من التحديات مثل ما لاقاه في ميادين أخرى ، وقد كان لدراسته صدىً طيب لدى المؤمنين الصادقين ، وكانت عاملاً مساعداً لتقارب النفوس والقلوب بفضل الله. ولقد قدَّم في ميدان الدعوة الإسلامية وقضاياها وقضايا العالم الإسلامي دراسات جادَّة مفصَّلة في كتب بحدود مائة وأربعة وعشرين كتاباً ، تمثل كلها مع كتب الأدب والشعر والملاحم النهج الذي أشير إليه أعلاه. وقدَّم من خلاله نظريات متعددة مثل: النظرية العامة للدعوة الإسلامية أي: نظرية المعرفة في الإسـلام لتقابل نظرية المعرفة لدى الغرب ، وقانون الفطرة ، ونظرية النهج الإيماني للتفكير ، ونظرية التربية في الإسلام ومناهجها ، نظرية الوسع الصادق والوسع الكاذب ، وقدّم تجديداً في الفكر الإسلامي وتطبيقه في الواقع وفي الدعوة الإسلامية ، وغيرها. ليكون كلّه نابعاً من أسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله ومن مدرسة الدعوة النبوّة الخاتمة ، ومن وعي الواقع من خلال منهاج الله .وهذا النهج يأتي بعنوان: "نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ليكون أساس لقاء المؤمنين وبناء الأمة المسلمة الواحدة". وسمّي مدرسة لتجنّب التصور الحزبي والعمل السرّي. لقد كان لداعيتنا د. عدنان النحوي رؤية واضحة لقضية فلسطين منذ أول شبابه ولسائر قضايا العالم الإسلامي. كان يرى أنه لا بد من الجيل المؤمن المتراص صفّاً واحداً بعيداً عن جميع مظاهر العصبيات الجاهلية التي حرّمها الإسلام ، ولا بد من النهج الواعي الحق المدروس ، والخطة الوافية الأمينة ، ولا بد من إعداد القوة كما أمر الله ، فذلك أقرب للتقوى وإلى طاعة الله ، وإلى أن ينزل الله نصره. وكان هناك فسحة من الوقت آنذاك. وكان المؤمنون في الأرض حشداً كافياً. ومضت السنون والمسلمون لم يعدوا العدة ولا النهج ، وأكثروا من الشعارات والتمزُّق ، حتى أخذت الفرص تضيق ، واليهود تنمو قواهم وخطَّتهم ، وعدتهم وسلاحهم ، ويزداد كسبهم على الأرض جولة بعد جولة. لقد حملت قضية فلسطين الإسلام شعاراً ، وأخذت في الميدان صورة إقليمية أو قومية ، وجاءت النتائج كما هي ظاهرة اليوم للعيان. وكان يرى في جملة ما يراه عدم قبول دولة فلسطينية مجرّدة من كل أسباب القوة ، وعدم جواز التنازل عن أي جزء من أرض الإسلام وبخاصَّة أرض فلسطين وأن قضية فلسطين وغيرها من ديار الإسلام هي مسؤولية كلّ مسلم والأمة المسلمة كلها. ولذلك لا بد من جمع القوى وبناء الصف المؤمن الواحد كالبنيان المرصوص على أساس من منهاج الله ، ونزع العصبيات الجاهلية وجميع أسباب الفرقة والتمزّق. لقد كان الأدب من أهم ميادين نشاطـه منذ صباه. وقد جمع قصائده الأولى في "ديوان الأرض المباركة" ، ثم توالت دواوينه وملاحمه الشعرية ، ثم امتدَّ نشاطه الأدبي في ما قدَّمه من دراسات ومقالات نشرتها صحف متعدِّدة ومجلات في العالم العربي والإسلامي ، وفي كتب ومؤلفات تجاوزت تسعة دواوين شعرية ، وأربع عشرة ملحمة ، وفق النظرية التي يعرضها للملحمة الإسلامية ، تتناول بعض قضايا العالم الإسلامي. وفي هذه الدراسات قدَّم نظرية الأدب الملتزم بالإسلام ، ونظرية النقد الذي اقترح تسميته بـ "النصح الأدبي" ، ونظرية الجمال في

الإسلام ، ونظرية الملحمة في الأدب الملتزم بالإسلام لتفارق التصور الوثني اليوناني ، ونظرية تولد النص الأدبي ، وغير ذلك من الدراسات النامية المتطورة على أسس ثابتة راسخة وجذور ممتدَّة. وردَّ على المذاهب الأدبية الغربية: كالحداثة والبنيوية والتفكيكية والأسلوبية ، وغيرها. ودرس موضوع الشعر المتفلِّت بين النثر والتفعيلة ، وبيَّن رأيه بوضوح الحجة والبينة برفض هذا النوع من الكلام في ساحة الشعر ، فحسنُهُ نثر لا صلة له ولا نسب مع الشعر ، وذلك في عدد من كتبه: النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء ، الحداثة في منظور إيماني ، الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره ، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ، وبيَّن خطر ذلك على اللغة العربية. وارتبطت دراساته هذه مع دراساته للمذاهب الفكرية والسياسية الغربية وردِّه عليها ، مثل: الاشتراكية والديمقراطية والرأسمالية والعلمانية والعولمة وغيرها ، وبيَّن عظمة النهج الإسلامي وحاجة البشرية كلها إليه ، وإعجاز المنهاج الرباني ـ قرآناً وسنَّة ولغة عربية ـ ، وقدرته على تلبية حاجة الإنسان في جميع العصور وجميع الميادين وجميع الأماكن والأحوال. ففي جميع ما كتب من مؤلفاته التي بلغت حتى الآن مئة وأربعة وعشرين كتاباً في موضوعات فكرية وفقهية وتربويَّة وسياسية وأدبية ودراسة أحداث الواقع ، كانت حجَّته وبيِّنته من الكتاب والسنَّة ، ومن الواقع الذي يردُّه إلى الكتاب والسنَّة رداً أميناً ، فجاءت كتبه تمثِّل نهجاً واحداً متماسكاً ، وفقهاً ممتدّاً يقوم على الركنين الأساسيين: المنهاج الرباني والواقع. ولقد كان من أوائل من ساهم في نشاط الدعوة إلى الأدب الملتزم بالإسلام. فقد حضر الندوة الأولى للأدب الإسلامي في لكنؤ ـ الهند ـ برعاية ندوة العلماء سنة 1401هـ ، وقدَّم فيها بحثه: "الخصائص الإيمانية في الأدب الإسلامي" وقصيدته: "عرائس وجواهر ـ هدية الشعر". وكان من المؤسسين لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مؤتمرها الذي عقد في لكنؤ ـ الهند ـ برعاية ندوة العلماء ورئيسها الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله. وقدم في هذا المؤتمر بحثه المتميز "الموضوع الأدبي وولادة النصِّ الأدبي" ، ودرَّته الشعرية عن الأدب الإسلامي "مهرجان القصيد". وفي هذا المؤتمر وُضِع النظام الأساسي للرابطة. وأصبح داعيتنا عضواً مؤسساً وعضواً في مجلس الأمناء ، ونائب رئيس مكتب البلاد العربية. ولأسباب متعدِّدة اعتزل ذلك في وقت لاحق ، وتفرَّغ للدراسة والإنتاج ، وقدم ذخائر من الفكر والشعر. تبلغ مؤلفاته حتى الآن (ربيع الآخر1433هـ) مئة واثنين وثلاثين كتاباً ، ترجم بعضها إلى الإنجليزية والتركية والأوردية منها: ستة وثلاثون كتاباً في الدعوة وفكرها ومناهجها ، والتربية والبناء ومنهاجه ، والفقه في الدعوة وامتداده في الحياة والإدارة ، وتسعة كتب في التوحيد وموضوعاته الإيمانية ومناهج تطبيقها ، وثمانية وثلاثون كتاباً في دراسة قضايا الواقع الفكرية وأحداثه ، اثنا عشر كتاباً في الأدب الملتزم بالإسلام ، وخمسة كتب في الرد على المذاهب الأدبية الغربية ، وعشرة دواوين شعرية ، وخمس عشرة ملحمة شعريّة ، وثلاثة كتب باللغة الإنكليزية ، وأربعة كتب مترجمة إلى لغات أخرى. هذه الدراسات والمؤلفات في موضوعاتها المختلفة تمثل عصارة علم المؤلف الداعية وتجربته خلال أكثر من نصف قرن ، صاغها على صورة نظرية عامة للدعوة الإسلامية بمعناها العام ، تقوم على قواعد الإيمان والتوحيد ، الحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، والقضية الأخطر في حياة كل إنسان ، وعلى المنهاج الرباني ، ودراسة الواقع من خلاله ، ثم تأتي بنود النظرية وعناصرها ، ونهج مفصل لبعض ميادين النشاط ونظام إداري ، ومناهج تطبيقية ونماذج علمية ، للفرد والجماعة والأمة ، للدلالة على أنَّ المنهاج الربّاني ـ قرآناً وسنّة ولغة عربية ـ صالح لكلّ زمان ومكان حتى قيام

الساعة. هذا بالإضافة إلى مقالاته في معظم مجلات العالم العربي والإسلامي وصحفه ، مما يؤلف إنتاجاً فكرياً كبيراً ، بالإضافة إلى مساهماته في المؤتمرات والندوات الفكرية والأدبية والعلمية. لقد قدم داعيتنا في دراساته موضوعات جديدة في الدعوة والفكر والأدب. وكذلك كان شعره يمثل نهجاً متماسكاً مترابطاً مع سائر ما يقدمه من موضوعات ، لتؤلف كلها منهجاً جديداً متميزاً في واقعنا اليوم ، نابعاً من الكتاب والسنَّة ، لقد كتب عنه عدد غير قليل من الأدباء والمفكرين في صحفٍ ومجلاتٍ في العالم الإسلامي ، وأحاديث في بعض الإذاعات ، كما تحدَّث عنه مفكِّرون وأدباء في كتبهم ومؤلفاتهم ، وفي المواقع الإسلامية على الإنترنت. ومن هؤلاء: د. محمد عبد المنعم خفاجي ، د. محمد مصطفى هدارة ، د. محمد جابر قميحة ، د. أحمد كمال زكي ، د. سعد أبو الرضا ، د. صالح عبد الله ، د. مأمون جرار ، د. موسى إبراهيم أبو دية ، د. محمود السيد الدغيم ، د. محمد عادل الهاشمي ، د. محمود الربداوي ، د. محمد بن سعد بن حسين ، د. محمد لطفي الصباغ ، د. محمد بن عزوز د.عبد الرحمن عبد الوافي ، والأستاذ عبد العليم القباني ، والأستاذ أحمد مبارك ، والأستاذ يحيى بشير الحاج يحيى ، والأستاذ عبد الله خليل شبيب ، والأستاذ محمد شلال الحناحنة ، والأستاذ حسني أدهم جرار ، والأستاذ أحمد الجدع ، والأستاذ محمد أبو صوفة ، والأستاذ حلمي الأسمر ، والأستاذ محمد أحمد الرواشدة والأستاذ ماجد رسلان ، والأستاذ محمد صالح! وقد نُشرت مقالاته في بعض صحف ومجلات المملكة العربية السعودية ، ودولة الإمارات العربية المتحدة ، ودولة قطر ، واليمن ، والأردن ، والجزائر ، ومصر والسودان ، والمغرب ، أفغانستان ، وكشمير ، الهند ، لبنان ، فلسطين ، إنجلترا....الخ. هذا وقد قدم د. نعيم كامل شبير دراسة عن الدكتور النحوي في كتاب خاص بذلك بعنوان: (صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان.).هـ. أشكر للأستاذ العسكر ما تفضل به من ترجمة الدكتور عدنان النحوي حفظه الله. وأدع الدكتور عدنان النحوي يقدم نفسه بنفسه هكذا مستخدماً تاء الفاعل من خلال لقاء صحفي معه! وهذا اللقاء مع فضيلة الدكتور عدنان علي رضا محمد النحوي. العَلَم العالم العلامة الداعية المفكر الشاعر الأديب الناقد الناصح ، المجاهد بقلمه ، نحاور فيه الكاتب ، المؤلف ، والمبدع. ولا يَخفى أن الذي أجرى الحوار مع الدكتور عدنان هو الأستاذ عبد الحافظ شمروخ ، والحوار موجود كاملاً في موقع: (قصة الإسلام). ** بداية نشكر فضيلتكم على إتاحة الفرصة للقراء للتعرف عليكم وعلى تجربتكم في الكتابة والتأليف. فما هو ومتى كان أول كتاب تؤلفه؟ وما هي قصته؟ ـ لقد بدأتُ الكتابة ولم أبلغ الرابعة عشرة من عمري. كنتُ أكتب الشعر ولم أكن درستُ العروض ولا عرفته. وكنتُ أكتب أبحاثًا في موضوعات شتى ، وكان بعض أساتذتي في الصفوف الثانوية يُسَرّون بها ، ويطلبون مني قراءتها على الطلاب في الفصل. وبدأت أكتب بعض الخواطر كتابة خاصة لي ، لم أكن أفكر في النشر أو الإعلام ، وهذا كله فُقِد مع النزوح. أول كتاب تم جمعه وطبعه ونشره كان ديوان الأرض المباركة ، وقصته أنني كنتُ قد جمعتُ كل ما لدي من قصائد ، فأطلِعُ عليها بعض الأصدقاء في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية ، إلى أن وصلتُ إلى الدكتور محمد مصطفى هدارة رحمه الله ، فاتصل بي ودعاني إلى زيارته ، وذهبت إليه مع بعض الأصدقاء ، وفوجئت بأنه أعَدَّ مقدمة للقصائد التي اطَّلَعَ عليها ، وشجعني على طبعه ونشره. وكان من بين الحضور صاحب دار نشر ، فعرض طباعة الديوان ونشره. وقبل أن تبدأ طباعته كتب عنه كذلك الأستاذ الشاعر الأديب عبد العليم القباني ، والأستاذ الأديب الدكتور أحمد كمال زكي ، والأستاذ زهير ماردیني ، وتحدث عنه في إذاعة الرياض الدكتور محمد

لطفي الصَّبّاغ ، ثم كتب عنه في جريدة اللواء الأردنية الأستاذ أحمد عوض النشاش ، ثم توالت الكتابات عنه بعد طباعته ونشره ، والشكر والتقدير لجميع الأخوة الأدباء والشعراء الذين تفضلوا وكتبوا. وكانت الطبعة الأولى سنة 1398هـ/ 1978م ، ثم توالت الدواوين حتى بلغت الآن تسعة ، والملاحم الشعرية أربع عشرة ملحمة. وقد تم إصدار ديوان الأرض المباركة في ست طبعات متتالية بحمد الله تعالى ومَنه وفضله. ** عندما كتبت أول كتاب ، هل كان لديك فكرة أنك ستقوم بتأليف هذا العدد الكبير والمتنوع من الكتب القيمة؟ - كان أول كتاب من غير الشعر ، هو كتاب "دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية". لقد بدأتُ في التفكير في تأليفه وأنا في قلب العمل الإسلامي أرقب ما يعانيه العمل الإسلامي من تحديات ومشكلات وأخطاء ونواحي ضعف وخلل ، دون وجود أي محاولة في حدود علمي للمعالجة والإصلاح. وعندما يسَّر الله لي الوقت للتفرغ لتأليف هذا الكتاب ، كانت تجمعت لديَّ عدة قضايا شعرت بالواجب أن أكتبها وأدرسها وأعرضها. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنني ما تركت كتابًا لداعية إسلامي عربي أو غير عربي إلا درسته ، ويُضاف إلى ذلك أنه في مسيرة حياتي درست علومًا متعددة ، خلاف ما ندرسه في المرحلة الثانوية ؛ ففي الكلية العربية في القدس كان الزاد الذي أخذته كبيرًا إلا مادة الإسلام ، فدراستها كانت جهدًا شخصيًّا وتوجيهًا بيتيًّا. فقد درستُ التربية وعلم النفس وأصول التدريس واللغة العربية وأدبها وشعرها ، واللغة الإنجليزية وأدبها وتاريخها وشعرها مع النقد الأدبي ، واللغة اللاتينية لبضعة أشهر ، والرياضيات وتاريخها ، والطبيعيات والكيمياء ، تاريخ اليونان بتفصيل مملّ وتاريخ أوربا ، تاريخ إنجلترا كذلك بتفصيل واسع ، تاريخ الرومان ، المنطق ، وعلومًا أخرى. وتابعت دراسة الإسلام وتاريخه بجهد شخصي! ثم حفظت كتاب الله ، وكان هذا أكبر زاد حملته. وخلال هذه المسيرة قرأت قراءة خاصة لمعظم الكتاب المشهورين في العالم العربي مثل طه حسين ، وجورجي زيدان ، ومصطفى صادق الرافعي. وقرأت لمعظم الشعراء الكبار في مرحلة شبابي مثل محمود سامي باشا البارودي ، وشوقي ، وحافظ إبراهيم ، والأخطل الصغير ، وأحمد محرم ، وبدوي الجبل ، قراءةً وحفظًا على قدر ما أستطيع ، يُضاف إلى ذلك ما درسناه في الدراسة الثانوية ، والكلية العربية من شعراء العصر الجاهلي ، وصدر الإسلام ، والعهد الأموي ، والعهد العباسي ، دراسة مفصلة مع التحليل والنقد. ولقد استفدت كثيرًا من مكتبة الكلية العربية المليئة بالمراجع في مختلف العلوم ، وكان من أكثر ما قرأتُ منها القصص العالمي. هذا بعض الزاد الذي حملته في مرحلة شبابي ، ثم جاء الزاد الكبير من الإسلام ومن فترة وجودي في الميدان. وعندما قدمت الكتاب للفسح جاءني خطاب شكر وتقدير على هذا الكتاب الذي اعتبروه مفيدًا للشاب والعالِم ، وأشعر أن كل كلمة فيه خرجت من صميم فؤادي ودمي وعروقي. كان هذا الكتاب أول ثمرة لمسيرة حياتي ، لم أكتبه للشهرة ولا للسمعة ولا للتجارة ، ولكني شعرت بأن واقع المسلمين بحاجة إلى ما في هذا الكتاب بعد أن أخذ الناس يبتعدون عن تدبُّر كتاب الله ، وأخذوا يزدادون جهلاً باللغة العربية ، وأخذت الشعارات يزيد ضجيجها ، والعلم الحق يبهت ويغيب. وبعد جلسات كثيرة ومناصحة وحوار اقتنعت أن تفرُّق المسلمين وتمزُّقهم ناتج عن خلل في الإيمان والتوحيد ، وضعف كبير في دراسة وتدبر منهاج الله ، وغلبة الشعارات ، وغياب النهج والتخطيط. لذلك رأيت أن أبدأ بوضع نهج وخطة للدعوة الإسلامية! فكان باكورة النهج والخطة هذا الكتاب: "دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية". ولم يكن لديّ فكرة كم كتابًا سأؤلف ، ولم أكن أفكر في ذلك أبدًا ، وكان كل فكري محصورًا في قضية واحدة رئيسة ، كيف يمكن أن نضع

نهجًا ومنهجًا تطبيقيين للدعوة الإسلامية ؛ ليكون هذا النهج هو الأساس الذي يلتقي عليه المؤمنون. كان هذا الذي يُشغل فكري ويُطلق عزيمتي ، متوجهًا إلى الله تعالى ، راجيًا أن يكون العمل كله لله لا تفسده الدنيا ، والبحث عن السمعة أو المال أو أي كسب مادي دنيوي آخر. كنت أتوقع أن أرسم النهج كله في خمسة كتب أو عشرة كتب ، ولكن تبين لي مع المسيرة أن النهج يجب أن يقدم حلولاً تطبيقية عملية لما يدور في الميدان من خلل أو أحداث أو قضايا تحتاج إلى دراسة وإجابة وحلول. وكلما أَلَّفْتُ كتابًا فتح الكتاب أمامي موضوعات جديدة ، مهمَّة وضرورية ليشكل النهج خطوطه وملامحه وموضوعاته ، ولتتكامل على صورة منهجية. أما سبب تنوّع الكتب على هذا النحو الذي بَلَغَته اليوم ، فلذلك سببان: أولاً إن نهج الدعوة الذي أسعى إلى وضعه يجب أن يعالج مشكلات الواقع المتجددة في مختلف مجالاتها. وثانيًا: أن دراساتي كانت متنوعة جدًّا ، سواء في ذلك دراساتي الجامعية ودراساتي الخاصة التي كان من طبيعتها أنها دراسة منهجية تطرق أبواب الفكر وميادينه والواقع وأحداثه. ** لماذا تكتب؟ - أكتب لأني صاحب رسالةٍ عظيمةٍ أعيش لها ، وقضية أدافع عنها. أريد أن تُبَلَّغَ رسالة الله كما أُنزلت على محمد – صلى الله عليه وسلم - ، إلى الناس كافة تبليغًا منهجيًّا صافيًا ، وتعهُّدهم عليها تعهدًا منهجيًّا صافيًا ، والمضيّ على ذلك حتى تكون كلمة الله هي العليا. وهي ليست مسئوليتي وحدي، لكنها مسئولية كل مسلم وداعية وعالم. ومن أجل ذلك أضع نهجًا ليسهِّل على المسلم والداعية التزود بالزاد الحق ، وليسهِّل عليه الوفاء بعهده مع الله ، وليسهِّل عليه تبليغ الرسالة والدعوة ، وليكون هذا النهج أساس لقاء المؤمنين في الأرض أمة واحدة ، لا تفرقها الحزبيّة ولا العصبيات الجاهلية ، ولا تنافس الدنيا. ** لمن تكتب؟ من هي الشريحة التي تكتب لها؟ - أكتب للناس كافة: أولاً للمسلم العادي ، للداعية ، للعالِم ، ولكل من يعرف العربيّة ؛ لأدعوه إلى الإسلام دعوة صافية بعيدة عن التصور الحزبيّ أو العمل السريّ. ** ما هو الموضوع الذي تود أن تكتب فيه ولكنك لم تفعل؟ ولماذا؟ - هي موضوعات كثيرة نبعت مما كتبت حتى الآن ، يوحي بها متطلبات الرسالة التي أدعو لها ، وأنا ماضٍ في ذلك حتى ألقى الله. فبعض هذه الموضوعات أكتب فيها وبعضها لم يأت دورها. إنها خط ممتد مع امتداد الواقع والرسالة. ** ماذا تعلمت من تجربة الكتابة؟ - تعلمت الكثير الكثير وأول ما تعلمته هو أني كلما تعلمت شيئًا وكتبتُ فيه ، تفتحت أمامي آفاقٌ جديدة منه حتى أشعر بأنه ما زال أمامي الكثير ، وأن بحر العلم لا شاطئ له ، وكأنني كلما ازددت علمًا ازددت معرفة بأن ميدان العلم أوسع. والدرس الثاني أنه لا قيمة للعلم إلا حين يتمثله الإنسان إيمانًا وممارسةً إيمانية ، ونهجًا في الحياة ، وخُلقًا. ثم تعلمتُ درس الإيمان والتوحيد وأسسه ، وتعلمت مجاهدة النفس ، وأن العلم يحتاج إلى العمل والسعي والبيان والتبليغ ، وأن هذا كله يحتاج إلى نهج وخطة تحمل النية والدرب والهدف. تعلمتُ النهج الإيماني للتفكير لأدعو إليه بعد أن ألتزمه أنا ، تعلمت الكثير والكثير وأنا أتلو كتاب الله وأتدبره وأحفظه. ** ما هي العقبات والصعوبات والعوائق التي واجهتك خلال تجربتك في الكتابة والتأليف والنشر والتوزيع؟ - الصعوبات كثيرة ، ولكن أهمها النشر والتوزيع ، فهي صعوبات متلاحقة تحتاج إلى صبر. ومما سهل الأمر عليَّ أنني لا أسعى لشيء من الدنيا إلا أن يتقبل الله عملي خالصًا لوجهه الكريم. وكنت أشعر أن الله تعالى يمدني بعونه ، ولو بالصبر والجلد...! لأن أمتنا لا تقرأ إلا القليل منها. ** الكتاب للقراءة. بعبارة أخرى ، أن الكتاب يُكتب ليُقرأ. ما هو رضاك عن أمة "اقرأ"؟ - أمَّة "اقرأ" لا تقرأ! ** ماذا تقرأ؟ وبأي اللغات؟ وفي أي الموضوعات؟ - أقرأ كل شيء في كل موضوع طيّب نظيف

يعينني في رسالتي وهدفي. وأقرأ باللغة العربية والإنجليزية ، والموضوعات شتى ؛ الفكر الإسلامي ، الدعوة الإسلامية ، الفقه ، التوحيد وموضوعاته المتنوعة ، أحداث الواقع وقضاياه ، والأحداث الدولية ، وقضايا العالم الفكرية كالشيوعية والمادية التاريخية والمادية الجدلية ، والديمقراطية ، والحداثة ، والبنيوية والتفكيكية والأسلوبية ، والعَلمانية ، والعولمة ، والإدارة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والموضوعات الأدبية ، والنصح (النقد) ، والتاريخ والشعر ، وغير ذلك. وأهم من هذا كله الدراسات القرآنية ، وكتب السنة والسيرة ، والفقه ، واللغة العربية وقواعدها وآدابها. ** لمن من الكتاب المعاصرين تقرأ؟ - لعدد كبير جدًّا وفي الموضوعات التي سبق بيانها ، ويصعب تعدادهم ، وهذه مكتبتي يزيد عدد الكتب فيها عن اثني عشر ألفًا. ** كم تقرأ في اليوم أو في الأسبوع؟ - أقرأ يوميًّا جزءًا من القرآن الكريم ، وعددًا لا يقل عن عشر صفحات من أحد الكتب الصحاح والسنن ووفق منهج محدد ، ثم أقرأ ما لا يقل عن خمسين صفحة من أحد الكتب مما ذكرت أعلاه ، ثم أتفرغ للكتابة وإدارة العمل واستقبال الضيوف. ** كم مرجعًا تستخدم للكتابة في الموضوع الواحد؟ - عندما أحدد الموضوع الذي أريد أن أكتب فيه ، مثلاً الشورى ، أبحث عن كل ما أستطيع الحصول عليه ممن سبقوا وكتبوا في الموضوع ، فأدرسها ، فإذا وجدتُ أنه لا شيء جديد لديَّ في الموضوع تركته ولا أكتب فيه ، وأعتبر أنه ما دام ما كُتب كان كافيًا فلا حاجة أن أكتب فيه ، وإن وجدت أن لدي شيئًا جديدًا وأفكارًا لم يطرقها الآخرون ، وأن الأفكار هذه مرتبطة بالنهج الذي أدعو إليه ، أبدأ بالكتابة والإعداد ، وهناك موضوعات لا حاجة لمراجع غير الكتاب والسنة. ** الكتابة تعكس فكر الكاتب وأفكاره. ما هو الفكر الذي تريد إيصاله للقراء؟ - كما سبق أن قلت في الإجابة على السؤال الأول ، فإن لي رسالة أكتب فيها وأريد تبليغها إلى أكبر عدد ممكن ؛ لأُذكِّر المسلم بالتكاليف الربانية التي وضعها الله في عنقه ، والتي أخذ الله العهد عليها ، والتي سيحاسبه الله عليها يوم القيامة ، والتي غفل عنها كثير من المسلمين. وأكتب كذلك لأبيِّن نواحي الخلل في واقعنا الإسلامي وسبل معالجتها ، ولأنصح قدر جهدي وأحاسب نفسي على أسس ربّانيّة. ** ما هو الموضوع الذي تعكف على الكتابة فيه حاليًا؟ - حاليًا ، أكتب في موضوع مهمّ: "التجديد في الفكر الإسلامي"، وكذلك في موضوع آخر: "لتكون كلمة الله هي العليا". ** ما هو موضوع الكتاب القادم؟ - هناك عدة موضوعات ما زال "نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن" يحتاجها! وهل يكتب الله لي أن أعيش حتى أتابع الكتابة عبادة لله وطاعة له؟! وكل أمر في وقته حسن ، والله يقضي ما يشاء ، فله الحمد كله وإليه يرجع الأمر كله. ** هل الكتابة مهنة ، موهبة ، علم ، فن؟ أم أنها مهارة يمكن اكتسابها وتنميتها وتطويرها؟ - الكتابة علم وموهبة ، ويجب أن تنطلق من حاجة مُلحّة لتحقق هدفًا ربانيًّا يريد الكاتب أن يعبد الله بالكتابة فيه. ولذلك أرى أن تكون الكتابة منهجيّة واضحة الأهداف والوسائل والأساليب ، تنطلق كلها من نية خالصة لله. ويمكن أن تصبح الكتابة مع الممارسة فنًّا ومهارة. ** كيف ترى صناعة الكتاب في العالم العربي؟ - هناك كتب تدعو إلى الفتنة والفساد ، وكتب تدعو إلى الحداثة أو العَلمانيّة أو الديمقراطية أو...وهناك كتب إسلامية تدعو إلى الإسلام. أتحدث عن هذه الكتب الإسلامية ، فإنها أنواع كل نوع يمثل حزبًا أو حركة لا تتفق مع الأخرى ، فيفقد الكتاب بذلك قوة من قواه ، لا تتوافر هذه القوة إلا حين يكون المسلمون صفًّا واحدًا ، ونهجًا واحدًا ، وكل كتاب يدعم الكتاب الآخر. والمأخذ الثاني أنها ليست كلها منهجيّة ، فلا ترتبط كلها بنهج واحد وخطة واحدة. ولكن تظل الكتب الإسلامية تحمل الخير وتحيي الأمة ، ونظل ندعو الله أن يجمع المؤمنين في الأرض جميعًا على نهج واحد ومناهج محددة وخطة شاملة جامعة ؛ فالله واحد ، والدين واحد ،

والأمة يجب أن تكون واحدة ؛ ومن ثَمَّ فالدعوة الإسلامية يجب أن تكون دعوة واحدة في الأرض كلِّها ، لها نهج واحد ، ومناهج واحدة. ** كيف تكتب؟ ما هي الخطوات التي تتبعها في كتابة موضوع معين ابتداءً من الفكرة مرورًا بتجميع المراجع والمعلومات وانتهاءً بإخراج الكتاب ونشره وتوزيعه؟ - إذا تحددت الفكرة في ذهني أعرضها أولاً على منهاج الله حتى أطمئن إلى أنها فكرة إيمانية ، ثم أدرس كم حاجة واقعنا إلى هذه الفكرة ، وبعد ذلك أدرس مدى ارتباطها بنهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن. فإذا اطمأنت نفسي إلى ذلك أبدأ ، أحاسب نيتي لماذا أكتب: للشهرة والسمعة والدنيا أم بنية خالصة لله ورغبة في الدار الآخرة وإيثارها على الدنيا؟ فإذا اطمأنَّت نفسي إلى إخلاص النية ، أبدأ بجمع المعلومات وكل ما كتب حول هذه الفكرة ، فإذا وجدت أن ما كُتب لا يوجد لدي شيء أضيفه عليه ، اكتفيت بما كُتب. وإذا وجدت أن لديَّ شيئًا جديدًا أضيفه ، وأنه في نظري مهم ، أبدأ بالكتابة بعد أن أكون درست كل ما جمعته ، أبدأ بوضع خطة الكتاب ، خطة عامة ، ثم أبدأ بالكتابة في الموضوع ، وقد وضحت الفكرة والخطة والمراجع. حتى إذا انتهيتُ أخذت بمراجعته ومعالجة ما فيه من أخطاء إذا وُجدت ، فإذا اطمأننتُ دفعت الكتاب لزوجتي لمراجعته ومناقشتي فيه. فإذا انتهت هذه المرحلة ، أعرضه على ثلاثة أشخاص من الإخوة في مدرسة لقاء المؤمنين أو أكثر من ثلاثة. وبعد ذلك تبدأ مرحلة تقديمه للجهات المختصة للفسح ثم للطباعة ثم للنشر والتوزيع والإهداء. ** من يساعدك في مراحل إعداد وتأليف الكتاب وتجهيزه؟ - أولاً تساعدني زوجتي في المرحلة التي ذكرتها ، ثم في الطباعة على الحاسوب يساعدني الموظفون في مكتب دار النشر. وإذا احتجت إلى مساعدة ، فأستعين ببعض أبناء مدرسة لقاء المؤمنين. ** هل تكتب عن أشخاص معينين؟ من هم؟ ولماذا كتبت عنهم؟ - لم أكتب كتبًا عن أشخاص معينين ، إلا قصائد رثاء لمن يتوفاه الله من الأقرباء أو الأصدقاء ، وقصائد مودّة ومحبة مع بعض الأصدقاء. وكذلك كتبت مقالات عن بعض الرموز بناء على ظروف استدعت الكتابة عنها ، مثل أبي الأعلى المودودي ، أبي الحسن الندوي ، عمر بهاء الأميري ، مصطفى صادق الرافعي ، عبد العزيز الرفاعي ، وغيرهم. ** ما هي نصيحتك للكتاب المبتدئين؟ - أول نصيحة: أن يتقن اللغة العربية ، ويدرس كتاب الله ويحفظ منه ما يستطيع ، ويدرس ما يستطيع من كتب الحديث ومن سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم - وتظل دراسة القرآن الكريم والسنة واللغة العربية ، دراسة منهجيَّة صحبة عمر وحياة. والنصيحة الثانية: أن لا يكتب للدنيا والسمعة وطلب الشهرة ، وأن يتأكد من نيته وصدقه. والنصيحة الثالثة: أن لا يكتب إلا بعد أن يقرأ كل ما كُتب عن موضوعه ؛ حتى يشعر أن لديه شيئًا جديدًا ، وإلا فليبحث عن موضوع جديد يبدع فيه بأفكار جديدة. والنصيحة الرابعة: أن يهتم بالكتابة إذا كانت له رسالة في الحياة يكتب فيها ومن أجلها ، مع استيفاء الشروط السابقة).هـ. والحقيقة أنني أشكر الأستاذ شمروخ ذلك المحاور اللبق الذي استطاع أن يأخذ من الدكتور عدنان ما وراء نصوصه وما هو مخزون في جعبته! فلله لولا هذه الأسئلة المتفرّدة الدقيقة الذكية العبقرية لما استمتعنا بهذه المعلومات القيمة! ولقد تذهب هذه المعلومات مع الدكتور عدنان في قبره وتدفن معه فلا ينتفع بها أحد! وما قرأت حوارا مع كاتب أو شاعر وتمنيت أن يطول مثل هذا الحوار الجيد النافع! وإنني إذ أرثي وأنعي وأبكي الدكتور عدنان فهذا واجبي حياله ، واجب الابن على أبيه ، وواجب الطالب على مدرّسه ، وواجب الصديق على صديقه! ولو أنني مِت في حياة الدكتور عدنان ، وعلم بذلك لما كان منه إلا أن يصوغ قصيدة رثائية لا عجة المعاني والألفاظ ، عني وعن أشعاري وعن صداقتي به وأخوتي له وتلمذتي على يديه! وإذن فالشيء بالشيء يذكر! وذلك أكتبه قياساً على ما كان بيننا من رسائل وبريد! لقد كنا نسترشد بك في كل الذي نكتبه يا دكتور عدنان! فنكتب ما نشتهي موقنين أنك ستفنده وستغربله وستنخله! فلنا الله من بعدك. أسأل الله أن يرحمك رحمة واسعة وأن يتجاوز عنك ويغفر لك ذنوبك

ويتجاوز عن سيئاتك وأن لا يحرمنا أجرك وأن لا يفتننا بعدك! والآن لنطالع ماذا قلت في البكائية النحوية ، في رثاء الدكتور النحوي ونعيه للأمة المسلمة وللشعراء المؤمنين.)

الكـــل يفنـــى ، ثـــم يبقـــى البـــاري ... والمُلـــكُ – كـــل الملـــك ـ للقهـــارِ

كتـــبَ الفنـــاءَ علـــى الخلائـــق كلهـــا ... والكـــل رهـــنُ مشـــيئة الجبـــار

وتنوعـــت صـــورُ الحُتـــوف لحكمـــةٍ ... عنـــد المهـــيمن عـــالم الأســـرار

فـــاخترْ لنفســـك أي دار تشـــتهي؟ ... داران: فانيـــة ، ودارُ قـــرار

هـــذي الحيـــاة بقضّـــها وقضيضـــها ... مـــا قـــد بـــدا للنـــاس والمُتـــواري

ســـتزولُ مهمـــا طـــال مَـــرّ زمانهـــا ... وتبيـــتُ – رغـــمَ الأنـــفِ ـ كالآثـــار

هـــذي الطبيعـــة ســـوف يضـــربُها الفنـــا ... مـــا عـــن زوال الكـــون أي خيـــار

لكنمـــا ألـــمُ الفِـــراق هـــو الـــذي ... يُـــدْمي القلـــوبَ بطـــائف التـــذكار

يـــا أمـــة الإســـلام جُرحُـــكِ راعنـــي ... ودهـــى احتمـــالي ســـيءُ الأخبـــار

(عـــدنانُ) فـــارقَ قومَـــه وديـــارَه ... ليبيـــت عنـــد الغيّـــب الحُضّـــار

زهـــدَ الحيـــاة ، فلـــم يكـــنْ كلِفـــاً بهـــا ... مِـــن بعـــد مـــا انزلقـــتْ إلـــى الأخطـــار

وأراه آثـــر أن يمـــوت مجاهـــداً ... مُستبســـلاً بعزيمـــة الثـــوار

كـــم ردّ كيـــد المعتـــدين بفكـــره ... ولقـــد تكـــونُ الحـــربُ بالأفكـــار

ورمـــى العِـــدا بسِـــهامه ورِماحـــه ... وشـــواهدي فـــي طيّـــب الأســـفار

وتتبّـــع المُتغـــرّبين ، وصَـــدّهم ... صَـــدّ الـــذي ـ فـــي الحـــق ـ لـــيس يُمـــاري

وانحـــاز نحـــو الخيّـــرين يقـــودُهم ... والفـــوز عُقبـــى صُـــحبة الأخيـــار

وتحمّـــل (النحـــويّ) فـــي تفنيـــده ... شُـــبَهَ الضـــلال تعنـــتَ الأشـــرار

كـــم عـــاش بالمِرصـــاد يرقـــبُ هـــزلهم! ... ويُبيـــده بـــالنثر ، والأشـــعار

مـــا قـــال: وحـــدي ، والجُمـــوعُ غفيـــرة ... فتقبلـــوا يـــا قومنـــا أعـــذاري

مـــا قـــال: هـــذي فتنـــة مَســـعورة ... وأنـــا الـــذي – حَتمـــاً – ســـألزمُ داري

مـــا قـــال: تلفحُنـــي الـــدغاولُ جَمـــة ... إنْ بحْـــتُ بالخلجـــات والأســـرار

مـــا قـــال: تمـــتحِنُ الشـــدائدُ قـــدرتي ... والظلـــمُ يُـــوهنُ همّتـــي ووَقـــاري

مـــا قـــال: ريـــحُ الشـــرّ تقتلـــعُ الهُـــدى ... مـــن بعـــد أن قهـــر الطغـــاة دِيـــاري

مـــا قـــال: حَـــل الشـــيبُ ، يُحْنِـــي هـــامتي ... حتـــى أؤيـــدَ مَـــن بغـــى ، وأجـــاري!

مـــا قـــال: قـــد أديـــتُ جُـــلّ رســـالتي ... وبـــذلتُ عـــن عـــزم ، وعـــن إصـــرار

بـــل عـــاش يـــدعو ـ للفضـــائل ـ مُوقنـــاً ... مُستعصـــــماً بالسِـــــلم والآثـــــار

مُـــتحملاً مكـــرَ العُتـــاة وبطشـــهم ... مـــع قلـــة الأعـــوان والأنصـــار

مُتنـــاولاً ـ بالنقـــد ـ مـــا كتـــبَ الغثـــا ... مِـــن جوقـــة الهتافـــة التجّـــار

ومُحَطمـــاً صـــنمَ العمالـــة والهـــوى ... بعزيمـــــةٍ وتعفـــــفٍ وفخـــــار

واســـتقرئ الأنبـــاءَ مـــن طلابـــه ... مَـــن خصّـــهم (عـــدنانُ) بالإيثـــار

فاسترشـــدوا بعلومـــه وقريضـــه ... كالنحـــل يلـــثمُ طيـــبَ الأزهـــار

وأعـــارَهم قِنديلـــه ليتممـــوا ... بـــين الأنـــام مســـيرة الأنـــوار

وليقتفـــوا آثـــارَه فـــي عـــالمٍ ... أمســـى يبـــوءُ بخيبـــةٍ وخســـار

وليعلمـــوا أن الحيـــاة قصـــيرة ... والمـــوتَ يقطـــفُ زهـــرة الأعمـــار

(عـــدنانُ) أديـــت الأمانـــة مُخلصـــاً ... وكشـــفتَ كـــل مُخاتـــل دَيّـــار

والشـــعرُ ـ فـــي يُمنـــاك ـ أشـــرسُ حَربـــةٍ ... بـــأذىً يُخَـــصّ ـ غريمُهـــا ـ وضـــرار

هـــذي القصـــائدُ دُرّة نحويـــة ... أبياتهـــا مِـــن فضـــة ونضـــار

كـــم حبّـــر (النحـــويُ) عـــاطرَ نظمِهـــا! ... حتـــى بـــدتْ بســـريّها المِعطـــار

لـــم يـــألُ جهـــداً كـــي يُـــنقحَ نصّـــها ... ليكـــون مُنســـاباً كنهـــر جـــار!

لمّـــا يطـــوِّعْ للطـــواغي شِـــعره ... وأراه لـــم يســـبحْ مـــع التيـــار

لكنـــه لـــزمَ المواجهـــة التـــي ... ثقلـــتْ علـــى مـــن عـــاش للـــدينار

مـــا انفـــكّ ينشـــدُ فرصـــة ليخوضـــها ... حربـــاً ضروســـاً بعـــد الاســـتنفار

وأذاقَ طـــــــابورَ العمالـــــــة بأسَـــــــه كـــــيلا تكـــــون بقيـــــة اســـــتهتار!

حتـــــى قضـــــى (النحـــــويُ) جُـــــلّ حياتـــــه فـــــي دفـــــع صـــــائل جوقـــــة الفجّـــــار

فعليـــــه رحمـــــة ربنـــــا مـــــا شقشـــــقتْ قمْريـــــة ، وأتـــــى الـــــدجى بنهـــــار

وليغفـــــر الـــــرحمن كـــــل ذنوبـــــه مَـــــن يغفـــــر الســـــوآى ســـــوى الغفـــــار؟

وليهلـــــك الـــــديانُ كـــــل عِداتـــــه مِـــــن أعبـــــدٍ تُـــــزري - بـــــه - ، وجَـــــوار!

وصـــــلاة ربـــــي والســـــلام علـــــى الـــــذي هـــــو مرســـــلٌ مِـــــن ربّـــــه الســـــتار

وعلـــــى جميـــــع الآل والصـــــحب الألـــــى قـــــد هـــــاجروا والســـــادة الأنصـــــار

الذبيحة البريئة

(قامت مشادة كلامية بين ذئب بشري وبين زوج ضحية بريئة. وإنه ليُفترض في هذا الذئب أنه مسلم ولو بالتسمي. وكانت النتيجة المأسوية المريعة الوحشية أن قام هذا الذئب المجرم بذبح هذه العروس التي لم يمض على زواجها أسبوع واحد! ذبحها بالسكين كما تذبح الشاة. وتخيلت نفسي زوجاً لها أو أماً أو أختاً أو أباً أو أخاً ، ورحت أسطر هذه القصيدة كشاهدٍ على العصر الذي أعيش. مبيناً كيف وصل الناس أغلبهم إلى هذه الدرجة المتدنية من هوان الدماء والأعراض. ورحت أبكي وأنعي وأرثي هذه العروس المتوضئة المحبوبة من الكل ، وأبين إلى أي مدى كانت الفاجعة بها. ولمّا كان بكاءُ الشعراء ونعيُهم ورثاؤهم يجب أن يكون شعراً ، كانت هذه القصيدة انعكاساً لكل هذا وإفرازاً من إفرازاته. والناظر يَمنة ويَسرة يجد الدماء والأشلاء ، ولا يكاد القاتل يعلم لم قتل! وكذلك المقتول لا يكاد يعلم فيم قتل! وإن القلب أيتها العروس ليخشع ، وإن العين لتدمع ، وإن النفس لتأسى وإن الضمير ليرثي ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا. فإنا لله وإنا إليه راجعون. وإنا على فراقك يا نور لمحزونون. نور التي كانت ضحية خلاف بين زوجها وخادم من خدمه. لم يكن غريماً له عليها ، ولم يكن ليُناطحه الرأي بشأنها يوماً! وأقدّم عزائي لزوجها وأمها وأفراد عائلتها أجمعين ، وأوصيهم جميعاً بالتصبر والاحتساب. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). رواه مسلم . وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: ما لك تزفزفين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها. فقال: (لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد). رواه مسلم. تزفزفين: هو الرعدة التي تحصل للمحموم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد). رواه ومسلم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه). رواه البخاري و مسلم. وفي رواية لمسلم: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته). والنصب: التعب. والوصب: المرض قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يصب منه). رواه البخاري. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط). رواه الترمذي. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يُشاكها). رواه البخاري ومسلم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا نقص الله بها من خطيئته). رواه مسلم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة). رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. وأيضاً له رواية عند الحاكم. وأما (نور) فقد ماتت الموتة التي كتبها الله لها وخطها بيمينه. واستوفت بذلك أجلها المحتوم الذي قدره الله لها ، فلم تتأخر عنه لحظة ولم تتقدم.)

مـــا بـــالُ عينِـــكَ تزجـــي دمعهـــا مَطـــرا! ودمـــــعُ قلبـــــكَ مُلتاعـــــاً قـــــد انحـــــدرا

تهمـــي الـــدموعُ ، ومـــلءُ المُقلتـــين جَـــوىً يَكـــوي ، ولاعجُـــه مثـــلُ الســـيول جـــرى

حتى الفؤاد ثوى في نار كربته ... والوجدُ مثلُ جحيم في الهشيم سرى

والنفس كالهاطل الجاري بكتْ ألماً ... تشكو إلى ربها الأحوالَ والبَشرا

واهتاج دمعُ المآقي في محاجرها ... دمعٌ يُذيب قضيضَ الأرض والحجرا

وانساح دمعُ ضمير طالما عصفتْ ... به الهمومُ ، فلم ينعمْ بأيّ كرى

وانصاع للشجن الشعورُ مبتئساً ... وبالأحاسيس آهاتٌ لمَا العيونُ ترى

أحيا ، وتفجعني الأخبار دامية ... إذ لم تعد تحتوي فرْحاً ولا سَمرا

في غربةٍ مَحقتْ شبيبة شمختْ ... وكان صاحبها - بين الورى - قمرا

أبيتُ فيها كسيرَ الحال مكتئباً ... ومِن فظاعتها تُزجي ليَ الضجرا

وهزني خبرٌ أودى بعاطفتي ... يا ليتني لم أعاينْ ذلك الخبرا

ألفيته السيفَ يُردي عزمتي ، وأنا ... من هوله قد مللتُ الوِرد والصدَرا

مولى الأعاجم لا ذقت الهنا أبداً ... هنا ، وأصليتَ يوم المنتهى سَقرا

تبوءُ بالذنب أنتَ اليوم فاعله ... في غادةٍ ما رمت سَهماً ولا وَترا

ذبحتها ذبحَ شاةٍ دون مرحمةٍ ... فودّعتْ قصرها ، والناسَ ، والخُدُرا

مليكة كانت الغاداتُ تغبطها ... لمّا تُجدْ في الأنام اللؤمَ والدبَرا

كانت تؤمل عيشاً فيه سؤدَدُها ... وفي المعيشة لمّا تعرفِ الحذرا

محبوبة من جميع الأهل مذ ولدت ... وقد غدوا بالسخاء السادة الغرَرا

صبية عِقدها الثاني يُسامرُها ... فلم تكن بلغتْ من عمرها الكبرا

خريدة حُرة ، والسترُ ملبسها ... تستصحب الوَشْيَ بين الناس والحِبَرا

لم يكن عِرضها في الخلق مبتذلاً ... للمعجبين ، فكلٌّ يرصد الأجرا

هي العفيفة في عرض ، وفي شرفٍ ... وعن دروب الهوى قد غضتِ البصرا

واليوم يا ذئبُ قد أرخصت غاليها ... حتى استبحتَ دماً مِن جيدها هُدِرا

أرســـلت ســـيفك ، لـــم تـــرحم شـــبيبتها ... ولـــم تَجـــد مِـــن حِمـــام سُـــقته وَزَرا

ضـــيفٌ علـــى الـــدار يُـــردي مَـــن يُضـــيّفه ... ويحمـــل الكيـــد والتقتيـــل والخطـــرا

فالســـيفُ والحقـــدُ واأســـفي هديّتـــه ... لزهـــرةٍ حتفهـــا أمســـى لهـــا قـــدرا

والبيـــت أخفـــي عـــن الـــدنيا اســـتغاثتها ... وســـائلوا البيـــت والجيـــران والجُـــدُرا

وكيـــف تـــدفع هـــذي مَـــن يبارزهـــا ... بالســـيف يُشـــهر؟ هـــذا يبتغـــي نفـــرا

فـــي عصـــر مَـــن نحـــن يـــا قـــومي ويـــا وطنـــي؟ ... فـــاق العُتـــاةُ المغـــولَ – اليـــوم - والتتـــرا

أهكـــذا تُســـفكُ الـــدماءُ هينـــة ... فـــي عـــالم أهمـــل التـــذكير والنـــذرا؟

أهكـــذا تُزهـــق الأرواحُ شـــاكية ... إلـــى المليـــك قطيعـــاً طالمـــا فجـــرا؟

أهكـــذا يُـــذبح الإنســـان فـــي شـــرهٍ ... وإن - فـــي قتـــل مَـــن يطغـــى - لمزدجـــرا

هـــذي الضـــحية فـــي دمائهـــا غرقـــتْ ... وقلـــبُ ذابحهـــا كالصـــخر دون مِـــرا

ذبيحـــة مِـــن ســـراب الإثـــم قـــد برئـــتْ ... وللخلائـــق لـــم تســـبّب الضـــررا

إذ أقبـــل الليـــل وافتهـــا منيتهـــا ... فكـــان لـــيلاً شـــديد الوقـــع معتكـــرا

وخـــيّم الحـــزنُ فـــي أركـــان غرفتهـــا ... وأمهـــا ودّعـــتْ مِـــن أجلهـــا البُشُـــرا

تســـحّ دمعـــاً علـــى حبيبـــةٍ ذبحـــتْ ... وللمهـــيمن تشـــكو الحـــال والغِيـــرا

أمـــا العـــريس ففـــي الأشـــجان منجـــدلٌ ... وقـــد غـــدا قلبُـــه الولهـــانُ منكســـرا

قـــد لاذ بالصـــمت مجبـــوراً بعِلتـــه ... وخلّـــفَ الكـــربُ - فـــي سِـــيمائه - أثـــرا

يلـــوكُ صـــدمته – بالصـــبر - محتســـباً ... والكيـــدُ يرســـلُ - فـــي أحشـــائه - سُـــمُرا

والأهـــل أمسَـــوْا وجمـــرُ الوجـــد يحـــرقهم ... ويقـــذف اللهـــبَ المحمـــوم والســـعُرا

والأصـــدقاءُ ووهـــجُ الحـــزن يغمـــرُهم ... بكَـــوْا فقيـــدتهم لمّـــا أتـــوا زمَـــرا

فـــي مـــأتم ضـــاق بالحضـــور إذ وجمـــوا ... فمـــا اســـتطالوا الجـــوى يـــؤز والســـهرا

جنـــازة لـــم يكـــن يومـــاً لهـــا شـــبَهٌ ... والـــنعشُ يَمـــتحن الألـــواحَ والدسُـــرا

إذ غسّـــلوها بمـــا جـــادت مـــدامعُهم ... أمـــا القمـــاشُ فكـــان الـــوَرد والزهَـــرا

وفـــوق أرواحهـــم بالحـــب قـــد حُملـــتْ وأصـــــبحت مَـــــثلاً يُقـــــدّم العِبـــــرا

وفـــي الضـــمائر - قبـــل اللحـــد - قـــد دفنـــتْ وهِيـــلَ - مـــن فوقهـــا - الحنـــانُ مبتشـــرا

وعـــــاد كـــــلٌّ بأشـــــجان ينـــــوءُ بهـــــا وإن فـــــي قلبـــــه مِـــــن وخزهـــــا إبـــــرا

وكلمـــــا ذكـــــر الذبيحـــــة انهمـــــرتْ دموعُـــــه تشـــــتكي رحيلهـــــا العَسِـــــرا

يبيـــــتُ يحلـــــمُ – بالأطيـــــاف - باســـــمة ومِـــــن تعشـــــمه - لعَوْدهـــــا - انتظـــــرا

لأنهـــــا نقشـــــتْ طوعـــــاً مَحبتهـــــا والحُـــــبُ يطـــــرحُ - فـــــي نفوســـــنا - ثمـــــرا

لـــــولا الـــــودادُ لمَـــــا صَـــــفَتْ معايشـــــنا وصـــــاحبُ الـــــود - بـــــالقلوب - قـــــد ظفـــــرا

ولـــــيس كالحـــــب قنـــــديلٌ يُضـــــيئ لنـــــا حنـــــادسَ العـــــيش ، يُزجـــــي نـــــورَه العطـــــرا

يـــــا ذي الذبيحـــــة: كـــــوني اليـــــوم واثقـــــة مـــــن أن ربـــــك خـــــط الـــــرزق والعمُـــــرا

وهـــــذه المِيتـــــة الـــــرحمنُ قـــــدّرها وإن - مِـــــن أمـــــره - القضـــــاءَ والقـــــدرا

منيّـــــة أنشـــــبتْ أظفـــــار حاصـــــدةٍ روحـــــاً - عـــــن النـــــاس والـــــدنيا - نـــــوتْ ســـــفرا

مِـــــن الخلائـــــق مـــــوتى رغـــــم عيشـــــتهم وإن فـــــي ذكـــــرهم - رغـــــم العُـــــلا - قتَـــــرا

وبعـــــض أمواتنـــــا أحيـــــاءُ إن ذكـــــروا وكـــــل ذكـــــرى لهـــــم تُعطـــــر الســـــيَرا

لله فـــــي خلقـــــه شـــــؤونُ قـــــد عُلمـــــتْ ومَـــــن تأملهـــــا - بأهلهـــــا - اعتبـــــرا

ليَـــــرحم الله مَـــــن بريئـــــة ذبحَـــــتْ وصـــــبّر الأهـــــل ، فـــــاز اليـــــوم مَـــــن صـــــبرا

إنـــــي لأدعُـــــو لطيفـــــاً راحمـــــاً ، وعلـــــى تصـــــبير مَـــــن غرقـــــوا فـــــي الكـــــرب مقتـــــدرا

العاشقة القتيلة

(كانت تؤمل دوام اللعب على عاشقيْن ثريين لتبتز وتستنزف ثروتيهما. فقتِلتْ في النهاية برصاص كل منهما. وسجلتْ قضيتها لعدم وضوح الأدلة بأنها ضد مجهول. والحقيقة أن كل من يلعب بالنار لا بد من أن يحترق في النهاية! وما أجمل الصدق والصراحة والاستقامة! إن الاستقامة على منهج الله ورسوله تكفل السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة! وصدق الله – سبحانه وتعالى -: (فاستقم كما أمرت) ، وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (قل آمنتُ بالله ، ثم استقم). فالاستقامة تضمن خيري الدنيا والآخرة!)

هـــو العشـــقُ أودى بتلـــك الأمَـــة ... لأن التلاعـــبَ كـــان السِـــمَة

فسُـــحقاً لمـــن قادهـــا طيْشُـــها ... لقعـــر المُجـــون ، وذل العَمـــه!

وتعســـاً لعشـــق دواهُ الـــردى! ... و(ليلـــى) الهـــوى لـــم تكـــن مُرغمـــة

فكـــم خططـــتْ تنشـــدُ الملتقـــى ... وكـــان الســـفولُ - لـــه - ترجمـــة!

وكـــم أحرقـــتْ عاشـــقيْ حُســـنها! ... وبينهمـــا قـــادت الملحمـــة

وكـــم نـــاورتْ تبتغـــي فتنـــة! ... ودعـــوى الهـــوى لـــم تكـــن مُبهمـــة

وكـــم أحكمـــتْ كـــل مـــا دبـــرتْ! ... وكانـــت تـــدابيرها توأمـــة

وكـــم حصـــدتْ بالخنـــا ، والزنـــا ... بزفراتهـــا الفجّـــة المُوهمـــة!

إلـــى أن هـــوت فـــي ســـعير الشـــقا ... وبعـــد الغِنـــى أصـــبحت مُعدِمـــة

وبـــين النســـاء غـــدت دُميـــة ... تَـــداوَل لـــيس لهـــا مَكرمـــة

تـــؤدي ضـــريبة مـــا تـــدَّعي ... مـــن العشـــق ، والحـــب ، والعَولمـــة

وديســـتْ بأقـــدام مَـــن أنفقـــوا ... علـــى حُـــب عاشـــقةٍ مُجرمـــة

ولعبـــة أهوائهـــا لـــم تـــدُمْ ... وإن تـــكُ مَحبوكـــة مُحكمـــة

كـــلا العاشـــقين رمـــى ســـهمه ... وصـــوّب ناحيـــة الجمجمـــة

فخـــرتْ علـــى الفـــور وسْـــط الـــدما ... فـــلا رحـــمَ اللهُ هـــذي الأمـــة!

العروس ودموع الفرح

(دمعتْ عينا هذي العروس الفلسطينية المؤمنة ، عندما استشهد العريس في الجهاد. فكانت دموعها دموع الفرح. فبعد أن رتب العائلتان - عائلة العريس وعائلة العروس – كل شيء يتعلق بالعُرس ، إذا بالأخبار الموثقة بأن العريس آثر الرفيق الأعلى والجنة ، ليتزوج من الحور العين هناك – نحسبه ولا نزكي على الله ربنا أحداً – فإذا بالدموع تغمر عيني العروس! وعلى حد قولها: إن هذي الدموع ليست دموع حزني عليه بقدر ما هي دموع فرحي له! وإلا فإننا جميعاً سوف نموت ، وإن من عمّر سوف يموت ، وإن من لم يعمّر سوف يموت ، وإنها لقصيرة تلك الحياة! لقد كان يوم استشهاده هو يوم عرسه الحقيقي!)

يـــومُ عُـــرس يـــومُ الشـــهادة غـــالِ ... وشـــراءُ الجنـــان أســـمى المَعـــالي

ودمـــوعُ الأفـــراح أحلـــى مـــذاقاً ... مـــن دمـــوع الأحـــزان والأهـــوال

إن لغـــز الممـــات أســـهل حـــلاً ... مـــن حيـــاةٍ فـــي حمـــأة الإذلال

ودخـــانُ البـــارود أنقـــى عبيـــراً ... مـــن عطـــور تحـــنّ للأطـــلال

ولحـــونُ الرصـــاص أعـــذبُ وَقعـــاً ... مـــن جميـــع الأصـــوات والأقـــوال

وســـقوط المجاهـــدين عُلـــوٌّ ... فـــي ســـجل الخلـــود والإجـــلال

ورحيـــلُ الأحبـــاب لـــيس رحـــيلاً ... بـــل ســـباقٌ فـــي موكـــب الأبطـــال

وعريســـي اختـــار الحـــواريّ دونـــي ... فـــي الـــذرى ، فـــي الأخـــلاق بـــل والجمـــال

والصـــدَاقُ للحـــور جُـــودٌ بـــروح ... إنهـــن - عنـــد التقـــيّ - غـــوال

ولـــي اللهُ بعـــد زوجـــي ، وظنـــي ... أن يكـــون البـــديلُ خيـــرَ الرجـــال

يُتـــرعُ القلـــب بالأمـــاني ، فيحيـــا ... وينيـــر – بالطيّبـــات - الليـــالي

ويكـــونُ – للـــدين - عـــزاً ونصـــراً ... مســـتنيرَ الأقـــوال والأفعـــال

يجبُـــر الكســـرَ ، ثـــم يمســـحُ دمعـــي ... ويُســـلي نفســـي ، ويأســـى لحـــالي

رب إنـــي اصـــطبرتُ فـــاجْز اصـــطباري ... وأعنّـــي ، وارحـــمْ عَريســـي الغـــالي

قـــد دعـــوتُ ، واللهُ ربـــي قريـــبٌ ... وإليـــهِ أمعنـــتُ فـــي الابتهـــال

القاتل الضحية

(على سائق أي مركبة أن ينتبه. أما أن يرجع سائق إلى الخلف بسيارته دون انتباه ودون حيطة ليخلف ضحية هي ابن له في الثالثة من عمره. فهو استهتار محض ولا مبالاة لا حدود لوصفها. وفي هذا أكتب في عزاء الأب القاتل في ابنه المقتول. والأمر كما يقول الأستاذ سعود الشريم: (إن الدنيا مُلهيةٌ غرَّارة ، يتقلَّبُ المرءُ فيها بين خيرٍ وشرٍّ ، وفرحٍ وترَحٍ ، وغِنًى وفقرٍ ، ونصرٍ وهزيمةٍ. أيامُها دُول ، ولياليها حُبلَى بما لا يدري ما الله كاتِبٌ فيها ، إن سرَّ زمنٌ فيها ساءَته أزمانٌ أخرى ، يومٌ له ، ويومٌ عليه ، (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ). فلأجل ذلكم كلِّه كان لِزامًا على المرء أن يُوطِّن نفسه على اليقَظَة واستِصحابِ الحذَر ما دامَت له عينٌ تطرِف ، وقلبٌ ينبِض. إن كل احترازٌ وتهيئة يدُلاَّن على وعيٍ المُتَّصِف بهما ، فردًا كان هذا المُتَّصِف أو مُجتمعًا).هـ.)

غريـــقٌ - فـــي دم الإهمـــال - مقتـــولُ ... ووالـــده - عـــن الإهمـــال - مســـؤولُ

تكاســـل عـــن مراقبـــةٍ لمركبـــةٍ ... مـــدى الأيـــام هـــذا العبـــدُ مشـــغول

يســـير وراء آمـــال تداعبُـــه ... ويفتنـــه - عـــن المشـــهود - مجهـــول

ويحيـــا ســـادراً فـــي غيّـــه أبـــداً ... وإن الســـتر - فـــوق اللهـــو - مســـدول

نصـــيبُ صـــغيره قتـــلٌ بـــلا دِيَـــةٍ ... فلـــيس - علـــى أبيـــه اليـــوم - تعويـــل

ســـيجترّ الجـــوى دهـــراً بفعلتـــه ... وكيـــف يســـير - مَـــن بـــالكرب - معلـــول

وســـوف يعـــيش فـــي تأنيـــب خـــاطره ... ولـــيس - لحالـــه المحـــزون - تبـــديل

وســـوف يظـــل تقتلـــه ســـريرته ... فهـــذا قاتـــلٌ نفســـاً ومقتـــول

ضـــحيته - بنـــور العـــين - يحرسُـــه ... وبَـــذل الوالـــد المعطـــاء مكفـــول

وعطـــف أبيـــه - فـــي البلـــوى - يُســـامره ... لأن العطـــف - فـــي البلـــواء - مـــأمول

ولكـــنّ الأب المشـــغول جندلـــه ... وكوّمـــه ، فـــلا طـــوْلٌ ، ولا طـــول

حواليـــه الـــدماءُ ســـرتْ تؤبّنـــه ... وفـــوق - الجثـــة الزهـــراء - إكليـــل

شـــذى استشـــهاده فـــي الجـــو ترســـله ... بقايـــا اللحـــم فيهـــا العظـــمُ مـــذهول

تســـائل: مـــا جنيـــت اليـــوم يـــا أبـــتِ؟ ... وهـــل مـــا جئـــتَ - بـــين النـــاس - مغفـــول؟

القصر المهجور

(جادت (قمر) على قصر تشتهي سكناه وحدها بعد زواج أبنائها وبناتها جميعاً. حيث إنها بعد موت زوجها آثرت ألا تتزوج. وكانت ثرية لا تخشى الفقر ، ومعطاءة متصدقة ، فزاد مالها وتكاثر تكاثر الدود (ذلك أن المال لا ينقص بالصدقات أبداً ، بل يزيد). ومن هنا أنفقت على قصرها الملايين منتدبة له الصناع المهرة والحرفيين الحاذقين من كل بلد ، وفي كل فن من فنون العمارة والزخرفة والتأنق! وأغدقت عليهم ليُحسنوا بناء القصر والتأنق فيه وإتقان عمارته وزخرفته ليضاهي قصور الملوك والكبراء وعِلية القوم. وقد كان لها ما طلبت بمرور الأيام. ولمّا تم بناء القصر على الصورة التي أرادت ، وبات القصر آية في المعمار والزخرفة والأبّهة ، وقبيل عيد الفطر بيوم ماتت هذه المحسنة المتصدقة الصالحة ، تلك التي لا نزكّيها على الله تعالى. فرُحتُ أرسل هذه الرسالة الشعرية إلى القصر ، وأطلب منه أن يبكيها معنا بدموع الوداع لحظات خروج الجنازة من بيت ابنها الذي هو ملاصق له في البُنيان. وما يحجبه إلا الأشجار الباسقة التي أحاطت به من نخيل وبرتقال ونحوها...وصدق لبيد بن ربيعة حيث يقول مصوراً بقاء الذي نبنيه بعد أن نموت:

بُليـــنا ، ومـــا تـبـــلى الـنـجـــومُ الـطـــوالعُ وتـبـــقى الـديـــارُ بـعـــدنا ، والمصـــانعُ

ومـــــا الـــــمالُ والأهلـــــون إلا ودائـــــعٌ ولا بـــد يـومـــاً أن تُـــــردّ الـــودائـــع

عن مجاهد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لا يصيب أحد من الدنيا ، إلا نقص من درجاته عند الله ، وإن كان عليه كريماً. وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قمت على باب الجنة ، فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجد محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار ، فإذا عامة من دخلها النساء". وعن أبي عبد الرحمن البجلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم ، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم! قال: فأنت من الأغنياء ، قال: فإن لي خادما ، قال: فأنت من الملوك. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر ، أترى كثرة المال هو الغنى؟" قلت: نعم يا رسول الله! قال: "وترى قلة المال هو الفقر؟" ، قلت: نعم يا رسول الله ، قال: "إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب) (من كان الغنى في قلبه ، فلا يضره ما لقي في الدنيا ، ومن كان الفقر في قلبه ، فلا يغنيه ما كثر له في الدنيا ، وإنما يضر نفسه شحها"). وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح آمنا في سربه معافى في جسده ، عنده طعام يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر". وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب دنياه ، أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته ، أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى". وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أمتي من لو أتى باب أحدكم فسأله ديناراً ، لم يعطه إياه ، ولو سأله درهماً ، لم يعطه إياه ، ولو سأله فلساً ، لم يعطه إياه ، ولو سأل الله الجنة ، لأعطاها إياه ، ولو سأله الدنيا لم يعطها إياه ، وما يمنعها إياه لهوانه عليه

، ذو طِمِرّين ، لا يؤبه له ، لو يقسم على الله لأبره". وصدق الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حيث يقول: (كل عمل كرهت من أجله الموت فاتركه ، ثم لا يضرّك متى مت!) . فرحم الله الحاجة (قمراً)! وأبدلها من بيتها في الدنيا بيتاً عنده في الجنة لا تعب فيه!)

أمـــا أتـــاكَ - كمـــا أتـــانيَ - الخبـــرُ؟! أمـــا رثيـــتَ لليـــل مـــا بـــه (قمـــرُ)؟!

أمـــا فزعـــتَ لمـــن باتـــت مُودّعـــة يبكـــي - عليهـــا - البنـــاءُ الصـــرحُ والشـــجر؟

أمـــا ذرفـــتَ دمـــوعَ العـــين يصـــحبُها أنـــينُ قلـــب - مِـــن الآلام - ينفطـــر؟

أمـــا أســـفتَ لمَـــا عاينـــت مِـــن نبـــأ يأســـى الفـــؤادُ لـــه ، والســـمعُ والبصـــر؟

أمـــا اعتبـــرتَ بمـــا أتـــى القضـــاءُ بـــه إنْ كنـــت حقـــاً - بمـــا تلقـــاه - تعتبـــر؟

امـــا اتعظـــت مِـــن الآجـــال قـــد رُصِـــدتْ إذ خطهـــا عنـــده - فـــي اللـــوح – (مقتـــدر)؟

أمـــا تأملـــت فـــي الأقـــدار ماضـــية ولـــيس ينفـــعُ إذ حلـــت بنـــا حـــذر؟

أمـــا تمعّنـــت فـــي الأحـــداث جاريـــة ولـــيس - منهـــا - إذا حـــل القضـــا وَزر؟

أمـــا نظـــرت إلـــى الـــدنيا وزخرفهـــا؟ أم اكتأبْـــت ، فـــلا فكـــرٌ ولا نظـــر؟

أمـــا تفرســـت فـــي الأعمـــار ، نحـــن لهـــا أســـرى فطفـــلٌ قضـــى ، والشـــيخ ينتظـــر؟

أمـــا تـــذكرت كيـــف المـــوتُ يحصـــدُنا قســـراً ، إذا مـــا انتهـــى لتـــوّه العُمُـــر؟

يـــا قصـــرُ: أيـــن الألـــى شـــادوا ممـــالكهم دهـــراً ، وكانـــت لهـــم - بـــين الـــورى - سِـــيَر؟

وأيـــن مَـــن بطشـــوا بـــدون مرحمـــةٍ بـــل اســـتبدّوا ، وبالطغيـــان كـــم جهـــروا؟

وأيـــن مَـــن أوقـــدوا النيـــرانَ ســـاعِرة ليحرقـــوا الخلـــق؟ بـــئس الجنـــدُ والنفـــر!

وأيـــن مَـــن دمَّـــروا العمـــرانَ فـــي وضَـــح وبالمناشـــير كـــم شـــقوا ، وكـــم نشـــروا؟!

وأيـــن قـــومٌ - علـــى أبشـــارهم - ضُـــربوا وأيـــن جنـــدٌ - علـــى آلامهـــم - ســـهروا؟

وأيـــن مَـــن أحرقـــوا - عمـــداً - رعيّـــتهم بـــبعض قـــول ، لأن الأمـــر مـــا أمـــروا؟

وأيـــن مَـــن حكّمـــوا القـــانون تحســـبُهم يتـــابعون - بهـــذا الفعـــل - مَـــن كفـــروا؟

وأيـــن مَـــن كتبـــوا الأشـــعار فـــاجرة؟ فبـــئس مـــا قصّـــدوا! وبـــئس مـــا نثـــروا!

وأيــن مَــن هزلــوا فــي العــيش دون حيــا؟ وأيــن مَــن أســرفوا؟ وأيــن مَــن فجــروا؟

وأيــن مَــن قمعــوا الشــعوب قاطبــة؟ وأيــن مَــن - بِعِبــاد الله - كــم مكــروا؟

وأيــن مَــن ملكــوا الــدنيا وزينتهــا وللمليــك - علــى النعمــاء – مــا شــكروا؟

وأيــن مَــن خــذلوا الإســلامَ فــي وضــح وفــي الشــعائر والشــرائع اتجَــروا؟

وأيــن مَــن ســفكوا الــدماء هينــة كأنمــا أهلهــا – يــا خجلتــي – بقــر؟!

وأيــن مَــن ظلمــوا؟ وأيــن مَــن جحــدوا؟ وأيــن قــوم - مِــن الآيــات - مــا اعتبــروا؟

وأيــن مَــن عــدلوا فــي الحكــم ، واحترمــوا ديــن المليــك ، فمــا خــانوا ومــا غــدروا؟

وأيــن مَــن أخلصــوا لله ديــنهمُ وبالكرامــة والتقــوى لقــد ظفِــروا؟

وأيــن مــن بــذلوا الأرواحَ مــا بخلــوا وأمــرُ حِســبتهم - فــي النــاس - مُشــتهر؟

وأيــن مَــن جعلــوا النجــاة مطمحَهــم لــذلك اجتهــدوا فــي الخيــر واصــطبروا؟

وأيــن قــومٌ - علــى التقــوى - معيشــتهم ثــم ارتضــوْها لهُــمُ نهجــاً ، فمــا بطِــروا؟

وأيــن مَــن كانــت الطاعــات مــوئلهم فلــم تمِلهــم عــن العظــائم الغِيَــر؟

أتــى الجميــعَ حِمــامُ المــوت ممتــثلاً أمــرَ المهــيمن لمّــا ضــجّتِ النــذر!

يــا قصــرُ ، أيــن التــي شــادتك باســطة كــف الســخاء ، لهــا - فــي بــذلها - وطــر؟

تريــد قصــراً كــإيوان تــدِلّ بــه تزجــي البريــقَ - علــى أســواره - الــدُرَر

مثــل الــورود زهــتْ تيهــاً زخارفــه وزادَه ألقــاً - للنــاظر - الحجــر!

إذ رصّــعته بأحجــار مُطهمــةٍ مثــل العقيــق عليــه الوشْــيُ والحِبَــر

واســتأجرتْ مَــن ســما بحُســن رَونقــه ولــم تعــقْ عزمَهــا الأثمــانُ والأجــر

وأجْــرَتِ المــاءَ فــي شــتى جوانبــه وبعــدَ لأي جــرى - مِــن تحتــه - نهَــر

وتوّجتــه بإكليــل وروزنــةٍ وبــالنتوءات تُبــدي حُســنها الحُفــر

وبــالزروع تحليــهِ ، وتُتحفــهُ تُــدلي الخمائــلَ ، يزهــو تحتهــا الثمــر

وبالمصـــــابيح والأنـــــوار تغمرُهـــــا ... كأنهـــا ـ فـــي ســـنا إشـــراقها ـ الســـحَر

وجمّلتـــــــه بأصـــــــباغ بهارجُهـــــا ... تســـبي العقـــولَ ، بهـــا الأشـــكالُ والصـــور

حتـــى إذا تـــم مـــا ترجـــوه مِـــن أمـــل ... وأصـــبح القصـــرُ ـ باليـــاقوت ـ يـــأتزر

وقبـــل عيـــدٍ ، ثـــوتْ ـ فـــي القبـــر ـ صـــائمة ... وجـــاءتِ البيـــت ـ مِـــن أحبابهـــا ـ زُمَـــر

يودّعـــــون التـــــي كانـــــت تـــــدللهم ... والكـــل يســـأل: مـــا الأحـــوال؟ مـــا الخبـــر؟

وللنحيـــــب جـــــوىً يكـــــوي ، وهينمـــــة ... وصـــدمة ـ مِـــن لظـــى المصـــاب ـ تســـتعر

وللـــــدموع أخاديـــــدٌ تفـــــيضُ بهـــــا ... إصـــــر البليّـــــة تهمـــــي ، ثـــــم تنحـــــدر

والحـــزنُ نـــابَ عـــن الثبـــات يـــوم أبـــى ... ولـــيس يُبقِـــي الأســـى بأســـاً ، ولا يـــذر!

والطيبـــــون بكَـــــوْا رحيـــــلَ طيبـــــةٍ ... بالليـــل توصـــي ، وعنـــد الفجـــر تحتضـــر!

سَـــحّوا الـــدموعَ ، ولـــم ترقـــأ محـــاجرُهم ... فالـــدمعُ أغـــرقَ مَـــن غـــابوا ومَـــن حضـــروا

سُـــقيا لعهـــدكِ يـــا بـــدراً أضـــاء لهـــم ... ومـــا ظـــلامُ الـــدجى إذ أســـفرَ (القمـــر)؟!

رمـــى بـــكِ البـــينُ فـــي الأجـــداث مُسْـــلمة ... لله نفســـاً قضـــتْ ، فمـــا لهـــا أثـــر!

يـــا قصـــرُ ، فابـــكِ عليهـــا كلمـــا ذكِـــرَتْ ... إذ ـ فـــي حكايتهـــا للكـــل ـ مزدجـــر

واذكـــرْ لهـــا صـــيتها وطِيـــبَ سُـــمعتها ... إذ لـــم يكـــن عُجَـــرٌ فيهـــا ولا بُجَـــر!

نعـــم ، لقـــد رحلـــتْ ، فلـــن تعـــودَ لنـــا ... يومـــاً ، ويبقـــى لهـــا إحســـانها العطـــر

ليـــــرحم اللهُ مَـــــن كانـــــت توحّـــــده ... وإنْ أتـــت خطـــأ ـ فـــي التـــو ـ تعتـــذر

والليـــلُ يشـــهدُ ، والأسْـــحارُ شـــاهدة ... والصـــبحُ يشـــهدُ ، والآصـــالُ والبُكُـــر

المتوكل "آثر الرفيق الأعلى"!
(في رثاء الزميل الشاعر الأستاذ أحمد المتوكل)

(في يوم 28 / شوال / 1432هـ. الموافق 26 / 9 / 2011م ، بُلينا بلاءً شديداً ، وفجعنا في عزيز غال على النفس ، وفي الفؤاد مكانه. حيث فارقنا إلى الدار الآخرة الشاعرُ الحبيب أحمد المتوكل على الله عز ، من أهل (تفتناز) بسورية ، بعد عِشرة هنا في الغربة دامت 20 سنة بين مدّ الحياة وجزرها. فألفيته صاحباً وأخاً وصديقاً. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا همٍ ولا حزن ولا أذىً ولا غم ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها خطاياه). وفي صحيح ابن حِبان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاءً؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس وما عليه خطيئة). وروى مسلم في صحيحه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها ، إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها" قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت: ومن خيرٌ من أبي سلمة؟ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عزم الله عليّ فقلتُها. فما الخلف؟ قالت: فتزوجتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم! ومن خيرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وفي سنن الترمذي: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة). وروى الإمام أحمد من حديث معاوية بن قرة عن أبيه: (أنه كان رجل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتحبه؟ فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه. فتفقده النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعل ابن فلان؟ فقالوا: يا رسول الله مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه: أما تحب أن تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته عليه ينتظرك؟ فقال رجل: يا رسول الله ، أله خاصة أم لكلنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: بل لكلكم). وكان للمحدث إبراهيم الحربيّ ابن له إحدى عشرة سنة حفظ القرآن ولقّنه من الفقه جانباً كبيراً ثم مات الولد ، قال محمد بن خلف: جئت أعزيه فقال: الحمد لله واللهِ لقد كنتُ على حبي له أشتهي موته. قلت له: يا أبا إسحاق ، أنت عالم الدنيا تقول ذلك في صبيٍ قد حفظ القرآن ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم ، أو يخفى عليك أجر تقديمه؟ ثم قال: وفوق ذلك ، فلقد رأيت في منامي وكأن القيامة قامت وكأن صبياناً في أيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس فيسقونهم وكان اليوم حاراً شديد حرّه. قال فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء. قال: فنظر إليّ وقال: لست أبي. قال قلت: من أنتم؟ قال: نحن الصبية الذين متنا واحتسبنا آباؤنا. ننتظرهم لنستقبلهم فنسقيهم الماء. وفي البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). وأنا أشهد الله تعالى أننا احتسبناك عند الله يا أحمد المتوكل! وإلى لقاء في الجنة إن شاء الله! وكم سيؤثر علي رحيلك هذا! لقد ودعت الكثير والكثير من الناس إلى الرفيق الأعلى! ولكنني عندما أودع أخاً وأستاذاً وشاعراً وناصحاً أميناً في الوقت ذاته ، فإنني أستشعر عظم البلوى التي حلت بي! فكم راجعت لي من قصائد ، وصححت لي من أخطاء ، وعلقت لي على بعض الأبيات ، ونصحت لي في بعض الأمور! وكم اختلفنا ، وكم اتفقنا ، وكم عشنا الحياة معاً بمدها وجزرها

وبأفراحها وأتراحها! وبقي الود بيننا شاهداً بأصالتك ونجابتك! فرحمك الله تعالى رحمة واسعة!
وأسكنك ربي فسيح جناته ، وألهم أسرتك وأصدقاءك وجيرانك ومحبيك الصبر والسلوان!)

كم كنتُ أرجو أن تؤبنني غدا ... بقصيدةٍ في الموت تختصرُ المَدى!
وتُشيّعُ الجُثمانَ تحملُ نعشه ... وتمدّ - بالدعوات - للمولى يدا
وتُذكّر الأحياءَ بالموت الذي ... وافى ، وإنّ لكل عبدٍ موعدا
وتعيدُ للأذهان ذكرى مَن مَضوْا ... أرأيت فرداً لم يُزلزله الردى
وتردّ للحق الذين ترهّلوا ... وتنكّبوا – بعدُ - السبيل الأقصدا
وتلقنُ البُلهاءَ درساً شافياً ... بين الورى ينعي الشبابَ الأغيدا
كم كنتُ آملُ أن تُعزي عِترتي ... عند المقابر شيّعوني شُهدا!
وتسحّ دمعاً - في المصيبة - غالياً ... يُمسي - لفرط الوَجد - بحراً مُزبدا
وتُصَبّر الأحبابَ فيمن قد سوى ... وغدا - له - قبرُ المنيّة مَرقدا
وتذرّ وَعظك ، كي تُجفف دمعَهم ... وتُفيدَ – بالوعظ - الضيوفَ الروّدا
وتسوقُ نصحَك للعِيال وأمّهم ... لتخففَ الحزنَ العتيّ المُوقدا
وتبث - بين الناس - خطبةَ مُخبتٍ ... طابت مواعظه ، وعزّت مَقصِدا
وتقول – للأبناء - لم يرحلْ أبٌ ... كلا ، ولم تذهبْ نصائحُه سُدى!
ربّي وعلمَ وفق شِرعة ربنا ... وأبان دربأً يصطفيه مَن اهتدى
لكنه أملٌ ومَحضُ تخيّل ... وتعشم في عالم الذكرى شدا
وقضاءُ ربي فوق كل ترقب ... واللهُ يعلم ما يكونُ - لنا - غدا
وبليتي - في الخِل - تكسرُ خاطري ... والعينُ تُزجي الدمعَ ريأً مُرفدا
ونعتْ إليّ حبيبَ قلبي أسطر ... ترثي الفقيد العبقري المُفتدى
فقرأتها ، والدمعُ يغمرُ مُقلتي ... والحق أن الخِل ليس مُخلدا
لكنها الذكرى تُسربلُ مُهجتي ... والحزنُ في قلبي الأسيف تجدّدا

أنـــا وابـــنُ عِـــز صـــاحبان تخلصـــا ... مِـــن شُـــؤم غائلـــة الريـــا ، وتجـــرّدا

هـــي صُـــحبة فـــي الله ، فـــاح أريجُهـــا ... والصـــحبُ عاشـــوا يمـــدحون المَشـــهدا

والشـــعرُ - ويـــحَ الشـــعر - بـــارك خلـــة ... أضـــحى بهـــا الكَـــروانَ إنْ هـــو غـــرّدا

عِقـــدان أهـــداني المـــودة فيهمـــا ... والحـــب كـــان لـــه بقلبينـــا صـــدى

لـــم نختلـــفْ يومـــاً ، ولـــم يـــكُ هـــاجري ... وعـــن الصـــديق الشـــهمُ كـــم ردّ العِـــدا!

نِعـــم الصـــداقة أينعـــتْ ثمراتهـــا! ... وورودُهـــا طفقـــتْ يُـــداعبُها النـــدى

والفـــارس (المتوكـــلُ) الفـــذ اعتلـــى ... مَـــتن الشـــرافة مُخلصـــاً ، وتفـــرّدا

لـــم يـــدّخر جهـــداً ، ولـــم يـــن عزمـــة ... بـــل عـــاش يحملنـــا علـــى حـــب الهُـــدى

ورعـــى الأمانـــة عالمـــاً ومُعلمـــاً ... ليحـــوز مِـــن صَـــون الأمانـــة سُـــؤددا

وســـما - بأمجـــاد الأخـــوة - شـــامخاً ... وغـــدا ببـــذل الطيبـــات مُمجـــدا

وطرقـــتُ بـــاب البيـــت مِـــن شـــهر مضـــى ... فـــدنا ، ورحّـــب مادحـــاً ومُقصِّـــدا

ورأيتـــــه مستبشـــــراً متبســـــماً ... شـــأنَ التقـــيِّ إذا صـــفا وتعبّـــدا

وشـــدا وجـــاملني بأعـــذب قولـــه ... ومزاحـــه ، ثـــم اســـتهل وأنشـــد

وأتـــى بشـــاي فـــي الكـــؤوس مُعطـــرٍ ... وأعـــد مائـــدة ، وأحضـــر مقعـــدا

فجلســـتُ فـــوق بســـاطه ووســـاده ... إن البســـاط يُـــريحُ ضـــيفاً مُجهـــدا

وأخـــذتُ أســـمِعُه رطيـــبَ لطـــائفي ... حتـــى يُقـــوّم الاعوجـــاجَ إذا ابـــدا

فأصـــخْتُ ســـمعي للوصـــايا قانعـــاً ... لمّـــا غـــدا الخِـــل المُبجّـــل مُرشـــدا

إنـــي التمســـتُ رحيلـــه عـــن دارنـــا ... إذ لـــيس عبـــداً - فـــي الحيـــاة - مُخلـــدا

فضـــربتُ بـــين يديـــه وعـــداً باللقـــا ... عمـــا قريـــب كـــي يُواصـــل مـــا ابتـــدا

فاختـــار لقيـــا الله أصـــدق صـــاحب ... واللهُ أكـــرمُ مَـــن أغـــاث وأنجـــدا

فعليـــه رحمـــة ربنـــا مـــا أشـــرقتْ ... شـــمسٌ ، وأســـدى الله لـــيلاً ســـرمدا

أمنا تنتظرنا يا مروة!

(ماتت أمهما ، وكان الابن في العاشرة ، وأخته قد جاوزت السادسة بقليل. وتزوج الأب من أخرى. وذاق الابن والبنت الأمرّين على يدي أفعى في ثياب امرأة ، أو امرأة في ثياب أفعى ، هي زوجة أبيهما. ودارت رحى تلك الحياة ، فمن عذاب إلى عذاب ، ومن جحيم إلى جحيم. حتى قال الأخ لأخته: هيا بنا نذهب إلى أمنا في قبرها كي نسلم عليها. إن القبر أهون يا مروة من الحياة التي نحياها ، وعثر عليهما الناس وهم في غاية الإعياء والحزن. والقصة لمن أرادها كاملة هناك في كتاب (قصص من الحياة) للأستاذ / علي الطنطاوي. يقول دكتور مصطفى الشكعة – عضو مجمع البحوث الإسلامية – متحدثا عن حكم الشرع في ما ينبغي على زوجة الأب عمله: (أعطى الله تعالى لزوجة الأب حرمة تماثل حرمة الأم ، لذا فواجب لها الاحترام من جانب الأبناء ، وحق البر والصلة حتى بعد وفاة الأب ، كما لا يجب عليهم إغفال حقها في الميراث. أما عن واجبات زوجة الأب فيقول دكتور الشكعة: - إذا راعت الله تعالى في معاملة أبناء زوجها بتربيتهم التربية الصالحة والعناية بهم ، فلا شك أن هؤلاء الأبناء سيكون عليهم واجبات عظيمة نحوها ويكون لها من الله تعالى الأجر والثواب العظيم. والمرأة الواعية هي التي تقوم بواجباتها نحو أبناء زوجها ، لأنها تكون مسؤولة أمام الله عز وجل عن رعايتهم والعطف عليهم مثل أبنائها تماماً وهي تستطيع كسب قلوبهم وحبهم فينادونها بأمي تعبيراً عن امتنانهم لها. ونزيد على كلام الدكتور الشكعة بنصيحة ملخصها أن على زوجة الأب أن تعلم أنها تتعامل أولا وأخيرا مع الله عز وجل. وأنها يمكن أن تلحق بالزوجة الأولى في قبرها فكيف تتمنى أن تعامل الزوجة الجديدة أبناءها؟! ونثري فكرتنا بإيراد اقتراحات ونصائح الأستاذة أماني حصادبة الباحثة الاجتماعية حيث توجه بعض الهمسات لكل زوجة أب تقول: (أمّا عن دور زوجة الأب وطريقة معاملتها للوضع الجديد فلها أن تعرف أنّها جاءت إلى بيت ملئ بالأبناء الفاقدين لأُمّهم ، إلى أب قد مارس حياته كزوج وكأب ، وليست هي حياة طبيعية 100% بل هناك صعوبات عليها تحملها واستيعابها. عليها كسب ثقة الأبناء وجلبهم إلى معاونتها لأنّها منذ البداية تعرف أن وجودها ليس مقبولاً لديهم إلاّ بالفرض من قبل الأب. وتترك الأمر مفتوحاً لهم لكي يتقبلوها ويقبلوا نحوها فتكون المبادرة الأولى منهم لا منها. وإذا كانت ترى في نفسها عدم القدرة على تحمل رجل لديه أولاد فلا تقدم على الزواج من رجل هكذا. وأوجه لها بعض النصائح التي ينبغي عليها مراعاتها: - لا تحاول أن تصور نفسها الأُم الحقيقية فالأولاد لا يرضون بذلك ولا يتحملون هذا الكلام ، وبإمكانها أن تجعل نفسها صديقة لهم للمشاورة والمساعدة. - لا تحاول طرح مشاكلها أمام زوجها في حضور الأبناء. - لا تحاول طلب أشياء ثمينة لها أو لأهلها أمام الأولاد. - لا تتدخل في قضاياهم مع والدهم إلا بشكل مفروض ، ولا تحاول إظهار نفسها بمظهر الحريصة على المصلحة الأُسرية لأنّهم لا يصدقون منها ذلك إلا إذا ثبت ذلك منها فعلا. - إذا أصبحت أُما لا تغير معاملتها مع الأبناء بل تحاول أن تشعرهم أنّ هذا الصغير هو أخوهم وأنّه يزيد الأُلفة بينهم ، وتحاول أن تجعلهم يعتنون به ، ويساعدونها في تربيته. أمّا عن مشكلة الأولاد: فيجب أن يفكر الأولاد ويطرحوا على أنفسهم الأسئلة التالية: في غياب الزوجة أين تقع مسؤوليات الأب ، وأين سيحط رحله بعد ما أصبح أرملاً ، هل يلجأ إلى أبنائه ويطلب منهم ما كان يطلبه من زوجته الراحلة ، وهل يتحمل الأبناء أن يقدروا ظروف أبيهم ، ولا يحقدوا عليه إذا ما تزوج ، وأن يقدروا ظرفه الذي هو فيه ، وأنهم لا يستطيعون أن يقوموا بتلبية احتياجاته عدا الزوجة ، وأن لا يغرقوا في الأمور

العاطفية بالتصورات الخاطئة ، ويعتبرون زواج الأب هو من قلة الوفاء للراحة ، وماذا يجدي الوفاء الذي يريده الأولاد ، وهل ينفع الأُم وفاء أبيهم وتمسكه بزوجته الميتة تلبية لرغبات الأبناء وتصوراتهم لكنني هنا أصوّر مدى المعاناة التي يعيشها الأبناء بعد موت الأم أو طلاقها ، وأصور ذلك في إهمال الأب. أشكر من كل قلبي الشيخ الطنطاوي على إيراد القصة التي انفعلتُ بها فكانت قصيدتي ترجمة صادقة لانفعالي. كما وأشكر الدكتور الشكعة الذي تتلمذنا على كتبه وإن لم يجمعنا به لقاء! وأشكرُ الأخت الفاضلة: (أماني حصادبة) ، ولنطالع قصيدتنا وأعتذر جداً عن هذه المقدمة الطويلة ، التي حرصتُ على إيرادها هنا للفائدة للجميع فقط!)

كـــــم شـــــقينا بفرقـــــة الأحبـــــابِ! وأبونـــــا لـــــم يَـــــدر فصـــــل الخطـــــابِ

وشـــــربنا كـــــأس الهـــــون اضـــــطراراً واصـــــطلينا ـ دهـــــراً ـ بســـــوء العـــــذاب

واكتوينـــــا مـــــن الـــــبلاء بجمـــــر وابتلينـــــا بصـــــدمة فـــــي المصـــــاب

واشـــــتوينا بخـــــذل كـــــل الأهـــــالي إذ رموْنـــــا عمـــــداً بأقســـــى الحِـــــراب

وأبونـــــا لـــــم يكتـــــرثْ بأســـــانا إذ تســـــلى بزوجـــــه والصـــــحاب

شـــــغلوه عنـــــا ، فـــــذقنا المنايـــــا وعلينـــــا هبـــــتْ ريـــــاحُ الصـــــعاب

أوهمـــــوه أن الـــــزواج ســـــبيلٌ لحيـــــاةٍ فيهـــــا عظـــــيم الثـــــواب

فـــــإذا بالحيـــــاة تمســـــي جحيمـــــاً إذ حيينـــــا فـــــي محنـــــةٍ واضـــــطراب

زوجـــــة كالحربـــــاء تغضـــــي حيـــــاء أو كـــــأفعى تُغـــــري بلـــــين الإهـــــاب

أحرقتنـــــا بالكيـــــد مـــــن دون ذنـــــب إذ أذاقتنـــــا مـــــن صـــــنوف العـــــذاب

غيـــــرة الأنثـــــى داهمتهـــــا طـــــويلاً ثـــــم أعمتهـــــا عـــــن بلـــــوغ الصـــــواب

ســـــخرتني عبـــــداً أطيـــــع وأختـــــي وأحالتنـــــا كاليتـــــامى الســـــغاب

لعنـــــاتٌ فـــــي كـــــل حـــــين ورَكْـــــلٌ واحتقـــــارٌ مـــــن بعـــــد طـــــول سِـــــباب

والطعـــــامُ جنـــــى الـــــذباب حـــــلاهُ ولبســـــنا ـ فـــــي النـــــاس ـ أدنـــــى الثيـــــاب

أهلهـــــا يـــــا كـــــم جرعونـــــا البلايـــــا! عاملونـــــا بالحقـــــد مثـــــل الكـــــلاب

هـــــددونا إن نحـــــن بُحنـــــا بســـــر ســـــوف نرمَـــــى كوجبـــــةٍ للـــــذئاب

وأبونـــــا فـــــي معـــــزل لـــــم يكلـــــفْ نفســـــه ســـــؤلاً رغـــــم طـــــول الغيـــــاب

واكتفـــى بـــالأموال بعـــد الهـــدايا بـــين قشـــر فـــرقٌ وبـــين اللبـــاب

يـــا أبانـــا اســـتغفر لـــذنبك إنـــا فـــي ضـــياع ، وأنفنـــا فـــي التـــراب

كـــم نلـــوك المأســـاة لـــم نـــنجُ منهـــا! مـــا لنـــا فيهـــا غيـــرُ حســـن احتســـاب

والرزايـــا فـــي قلـــب كـــلٍّ ســـعيرٌ وي كأنـــا نحيـــا بعـــالم غـــاب!

يـــا أبانـــا أدركْ يتيمـــين ذلا! أو تجهـــزْ لهـــول يـــوم الحســـاب

وهلمـــي يـــا مـــروة الخيـــر حتـــى نفتـــدي مـــن دنيـــا الهـــوى والخـــراب

لنـــزور أهـــل القبـــور ، فنحيـــا لـــن يسُـــدوا حيالنـــا أي بـــاب!

أمنـــا تســـتجدي الزيـــارة منـــا يـــا تـــرى هـــل لأمنـــا مـــن إيـــاب؟

فـــي اشـــتياق تـــئن منـــه الحنايـــا رغـــم كـــل مـــا بيننـــا مـــن حجـــاب

فتعـــاليْ نعـــيش فـــي ظـــل أمـــي ودعينـــا مـــن عيشـــةٍ كالســـراب

إن عـــدِمناها مـــا عـــدِمنا دعـــاء رب فارحمهـــا يـــا عظـــيم الجنـــاب

جف الحليب أيها الرضيع

(تحكي (هانزاده) حفيدة المجاهد الكبير السلطان (محمود بن سبكستين الغزنوي) عن مأساة المسلمات في عالم الشتات ـ وكانت شاهد عيان لأكثر ما تحكي – أنها رأت طفلاً في بيشارو ، قد قتل الكفار أهل المنطقة بما فيهم أمه. وهذا الرضيع ظل يحبو وسط الأشلاء والأجساد حتى وصل إلى أمه ، وانكفأ يحاول أن يرضع منها. فبكت الراوية ، ولم تستطع إكمال قصتها المأسوية. والمزيد من المآسي في المقال الذي تفردتْ به مجلة (الشقائق) في عددها الـ 54 ص 24 للذي يريد مطالعته كاملة. إن جريمة التطهير العرقي والتقتيل الجماعي العشوائي وصدام الحضارات ، لن ينتهي إلا بالنصر المؤزر المبين للإسلام وأهله ، مهما طال الزمان ، وتضخمت التحديات والصراعات الدامية. وإننا لنستغفر الله – عز وجل ـ أن نقارن بين حضارة الإسلام العظيمة الربانية الخالدة ، وبين الانحطاط الجاهلي الغربي الذي يسمى زوراً وبهتاناً بالحضارة ، وما هو عندنا بحضارة. بل هو التخلف بعينه. قال الحوالي في محاضرته: (الصبر على الابتلاء ما نصه: (إن الصبر والتقوى من عزم الأمور ، وأهل العزائم معدودون ، لكن هؤلاء الأفراد المعدودون هم الذي يعيدون المسيرة كلها ؛ لأن الواحد منهم يضع العلامة على الطريق ، وهو مثل الذي يتقدم تحت وابل من الرصاص من الأعداء لكي يضع علامة على الطريق ويموت ثم يأتي الآخر ويضع علامة حتى يمشي عليها الناس ، فهذا هو الابتلاء الذي يلاقيه الدعاة والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؛ لأنهم يرسمون طريق العودة لهذه الأمة كلها ، فإذا تحول الناس إلى الخير ، برز النفاق ، فالذي كان وقت الشدة لا يعرفك ولا تعرفه ، بل وتخلى عنك ، إذا أظهرك الله ومكنّ لك جاءك يقول: أتذكر يوم ساعدتك؟ أتذكر كيف أعنتك يوم احتجتني؟ وهكذا حتى في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان النفاق على هذه الصورة ، وهو كذلك في كل زمن. والمؤمنون يصبرون في أول الأمر حين يمتحنون ويؤذون وقد لا يرون شيئاً من النصر).هـ. أكتب عن الرضيع البريء ومحاولته الاسترضاع من أمه الميتة وعلى الرمل أقول:)

أزه الجـــــوعُ لـــــذا الأمَّ الـــــتمسْ ... لكـــنِ القـــوتُ عـــن الطفـــل انحـــبسْ

قتـــــل الأعـــــداءُ أمّـــــاً مُرضـــــعاً ... فـــبمن ـ فـــي النـــاس ـ هـــذا يـــأتنس؟

ولمـــــن يـــــأوي رضـــــيعٌ مُعـــــدمٌ ... فاقـــــد المـــــأوى حـــــزين مبتـــــئس؟

مكرهـــــاً يبكـــــي ، فمـــــن يعنـــــو لـــــه؟ ... ثـــم مَـــن يرثـــي لـــذا الـــدمع الـــتعس؟

ويلـــــوكُ الكـــــرب يبكـــــي أمـــــه ... صـــــدرها ودّع بـــــالطعن الـــــنفس

وعلـــــى الخـــــدَّيْن دمـــــعٌ بعضُـــــه ... قـــــد جـــــرى بالمـــــاء لمّـــــا أن يـــــئس

صـــــارع الجـــــوعَ إلـــــى أن هـــــدّه ... وعلـــــى الأشـــــلاء مجبـــــوراً جلـــــس

يرقـــــبُ الأوصـــــالَ غطتهـــــا الـــــدِّما ... بعضُـــــها يجـــــري ، وبعـــــضٌ قـــــد يـــــبس

جثـــثٌ هانـــت علـــى أصـــحابها ... فـــي دجـــى ليـــلٍ بهـــيم منـــدمس

وبيـــوت النـــاس يعلوهـــا الثـــري ... لـــم يعـــدْ ســـقفٌ يُـــرى فـــوق الأســـس

وحيـــاة القـــوم والمـــوتُ سَـــوا ... ولســـانُ الحـــق قســـراً ينخـــرس

إنهـــا الحـــربُ يُغـــذيها الهـــوى ... ومنـــارُ الحـــق فيهـــا منـــدرس

آلـــة الحـــرب بأيـــدي طغمـــةٍ ... ورؤوسُ العِيـــر يغزوهـــا الهـــوس

فتنـــة تحـــرقُ مـــا يعنـــو لهـــا ... وعلـــى أهـــل الهـــوى الحـــق التـــبس

والمعـــاييرُ اســـتبيحتْ عنـــوة ... واللـــواء اليـــوم فـــي أيـــدى القســـس

وحقـــوق النـــاس ظلمـــاً أهـــدرتْ ... مَـــن مِـــن الأعـــداء حقـــاً يلـــتمس؟

شِـــرعة الغـــاب ، فللأقـــوى البقـــا ... والضـــعيفُ اليـــوم حتمـــاً ينـــتكس!

والصـــليبُ اليـــوم فـــي الأرض عـــلا ... ولـــه جنـــدٌ ولفـــحٌ كـــالقبس

وعُتـــاةُ (الكفـــر) - فـــي البلـــوى - غلـــوْا ... ليتنـــا - مِـــن كـــل كفـــر - نحتـــرس

أيهـــا الطفـــل انـــس مـــا عاينتـــه ... إن ســـيف الثـــأر - فـــي الـــروح - انغـــرس

ودمـــاء الأهـــل لـــن تُطـــوى ســـدىً ... ذا طريـــقٌ فـــي ثـــرى البيـــدا يـــبس

إنهـــا الشـــمسُ ســـتجْلي ظلمـــة ... وأرانـــا مِـــن ســـناها نقتـــبس

وكـــذا الأشـــلاء فجـــرٌ ضـــاحكٌ ... ثـــم بعـــد الضـــحك - حينـــاً - ينـــبجس

أتـــراكم قـــد فجعـــتم وحـــدكم؟ ... إن ظنـــي فـــي فـــؤادي مُحتـــبس!

دَورُكـــم وافـــى ، ويـــأتي دَورنـــا ... فـــي المســـا زلـــتم ، وإنـــا فـــي الغلـــس!

حزنٌ وألم

(رثاء جدتي الحاجة سعاد علي عمر نصّار)

(أنشدتُ هذه القصيدة الحزينة يوم حَمل إليّ الأثيرُ نبأ وفاة جدتي لأمي الحاجة سعاد علي عمر نصار ، فتأثرتُ وشردتُ بخيالي مع ذكرياتي معها تلك التي لا تنتهي سرداً ولا توصف طيفاً.)

أرثيـــكِ مِـــن قلبـــي ومِـــن أعمـــاقي ... والـــدمعُ منســـجمٌ مِـــن الأحـــداقِ

أبكيـــكِ أمّـــاً مـــا أجـــلّ عطاءهـــا! ... يـــا عذبـــة الأوصـــافِ والأخـــلاق

ولـديّ - مِـن صـدق المشـاعر - مـا يفـي ... بحقـــوق مَـــن لاذتْ بمُـــر فِـــراق

دمعـي - علـى الخـدين - مُلتـاع الجـوى ... والحـــزنُ يَـــدمغ عـــاطرَ الأشـــواق

والقلـــبُ يُضـــنيه التفجـــعُ والأســـى ... قســـراً بـــلا عطـــفٍ ولا إشـــفاق

روحـــي الفـــداءُ لجـــدّةٍ مكلومـــةٍ ... غابـــت - عـــن الـــدنيا - فلـــيس تلاقـــي!

كـــم كنـــتُ آمـــلُ أن يكـــون لنـــا لقـــا ... فـــي (مصـــر) يُـــذهب لهفـــة المُشـــتاق!

يـــا جـــدتي عانيـــتُ مِـــن فـــرط النـــوى ... فـــي غربـــةٍ عمـــدتْ إلـــى اســـترقاقي

وأنـــا الـــذي عشـــتُ المُفـــدّى بيـــنكم ... مُســـتمتعاً بحنانـــكِ الرّقـــراق

ثـــم ابتليـــتُ بغربـــةٍ مـــا اخترتهـــا ... داراً ولا وطنـــاً علـــى الإطـــلاق

لكنـــه قـــدرٌ ، ومـــا مـــن مهـــرب ... والأمـــرُ أمـــرُ الواحـــد الخـــلاق

خوفـــاً علـــى دينـــي انطلقـــتُ مهـــاجراً ... كـــالطير يعشـــقُ واســـعَ الآفـــاق

والـــرزقُ عَـــز ، فقلـــتُ: ألـــتمسُ الغنـــى ... فـــي أرض ربـــى الواهـــب الـــرزاق

يـــا جـــدتي ، والمـــوتُ فـــرّقَ بيننـــا ... والـــدمعُ منحـــدرٌ علـــى أوراقـــي

شـــعراً يُـــؤبّنُ مَـــن ثـــوتْ وتســـربلتْ ... بـــالموت وهْـــي كريمـــة الأعـــراق

والجـــرحُ عـــاتٍ ، والفجيعـــة مُـــرة ... والحـــزنُ فـــي الأحشـــاء والأعمـــاق

يـــا ربّ صَـــبّرْنا علـــى شـــر القضـــا ... تفنـــى الخلائـــقُ ، والمُهـــيمن بـــاقي!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (دُموعُ الرثاء ، وبُكاءُ الحُداء 1)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	أبشرْ بالشهادة	المجتث	مُتعة	2
2	احتسبتك عند الله يا أبي	المضارع	المليكا	5
3	احتسبتُكَ عند اللهِ يا خالد!	المتقارب	الأذى	8
4	احتسبتُكِ عند الله يا رُقيّة	البسيط	مكنون	10
5	إكرام الراحلة (رثاء إكرام علي سليمان عبد الرحيم)	الرمل	الجمرِ	11
6	تحية شعرية لسلاطين آل عثمان	الكامل	الشاءُ	16
7	الآن طاب الموت! (رثاء السلطان سليمان القانوني)	البسيط	سليمانا	17
8	البكائية النحوية (في رثاء الدكتور عدنان النحوي)	الكامل	للقهارِ	43
9	الذبيحة البريئة	البسيط	انحدرا	60
10	العاشقة القتيلة	المتقارب	السمة	64
11	العروس ودموع الفرح	الخفيف	المعالي	65
12	القاتل الضحية	الوافر	مسؤولُ	66
13	القصر المهجور	البسيط	قمرٌ	67
14	المتوكل "آثر الرفيق الأعلى"!	الكامل	المدى	71
15	أمنا تنتظرنا يا مروة!	الخفيف	الخطابِ	74
16	جف الحليب أيها الرضيع	الرمل	انحبسْ	77
17	حزنٌ وألم (رثاء جدتي الحاجة سعاد علي عمر نصّار)	الكامل	الأحداقِ	79

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (دُموعُ الرثاء ، وبُكاءُ الحُداء 1)

نبذة عن الشاعر

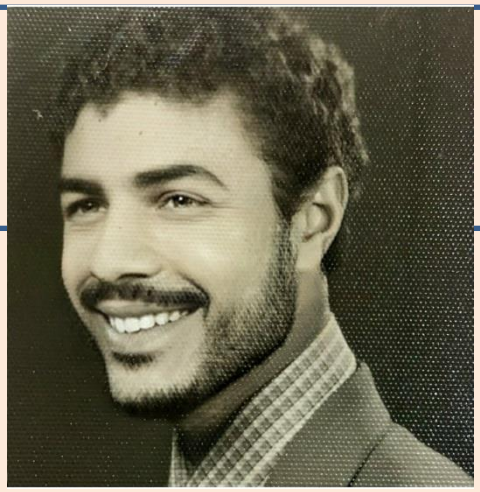

(الشاعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق! معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الكتب والدواوين في هذه القائمة:

أولاً: دواوين الشعر

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية)

ثالثاً: قصائد ذات شأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –

36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)
40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)

71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تعريب تبيني صدق لحامد زيد)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)
80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)

رابعاً: المجموعات الشعرية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!

22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق
34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط برئٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية

خامساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!